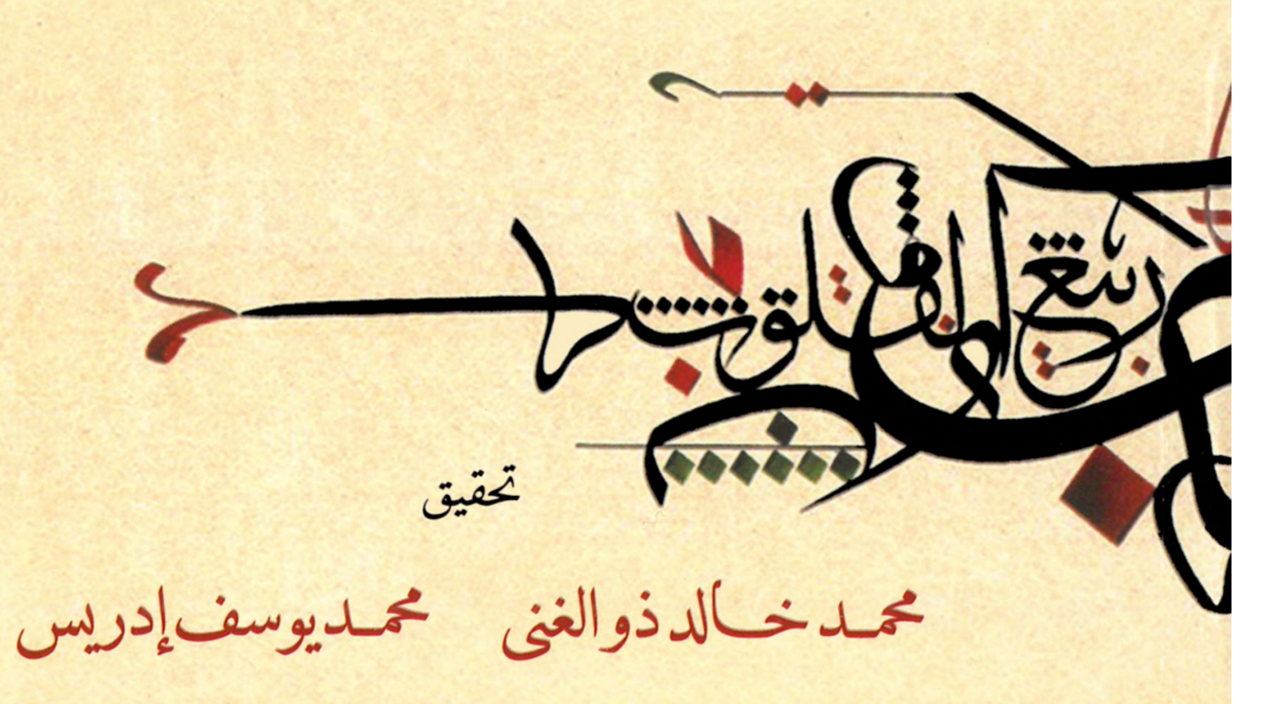
شكاية أهل السنة

بحكاية ما نالهم من محنة

للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري

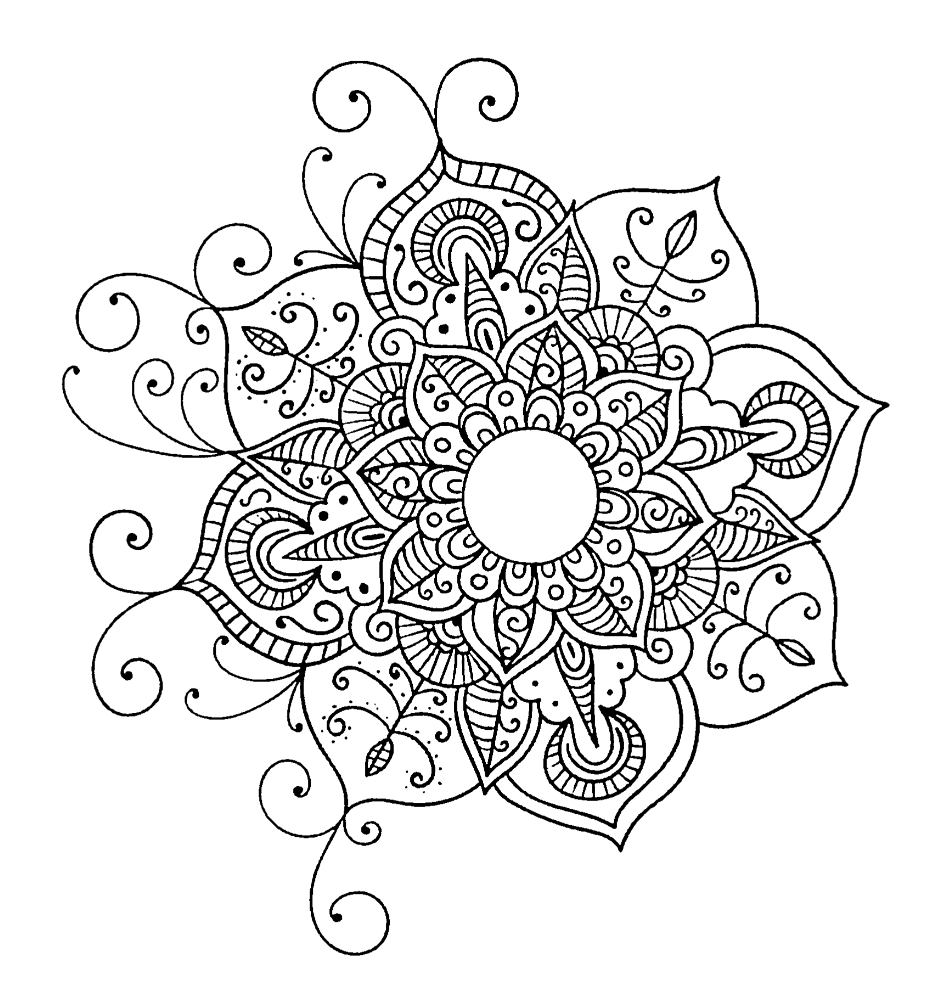
(ت: ٤٦٥ هـ)



تحقيق

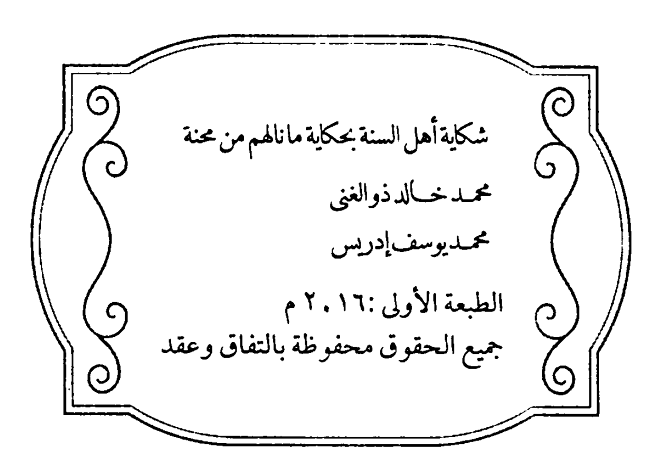
محمد خالد ذو الغنى   محمد يوسف إدريس





شِكَايَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ

بِحِكَايَةِ مَا نَالَهُمْ مِنْ مِحْنَةٍ



شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من محنة

محمد خالد ذو الغنى

محمد يوسف إدريس

الطبعة الأولى: ٢٠١٦ م

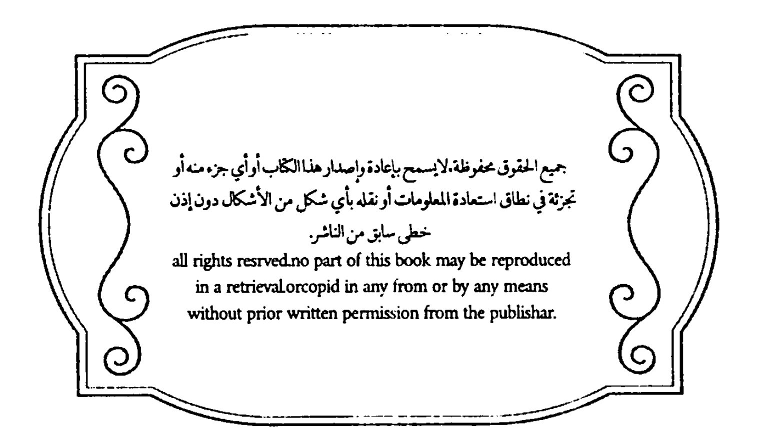


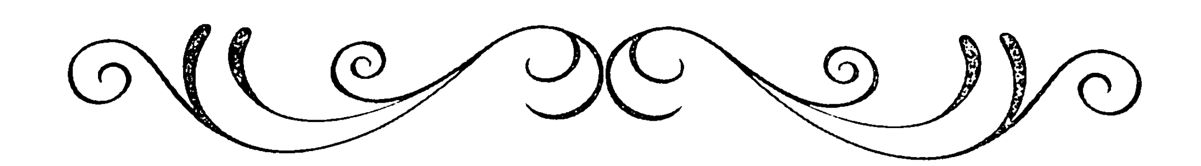
دار النور المبين للنشر والتوزيع

عمان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com

www.darannor.com





٢٠١٦

شكاية أهل السنة

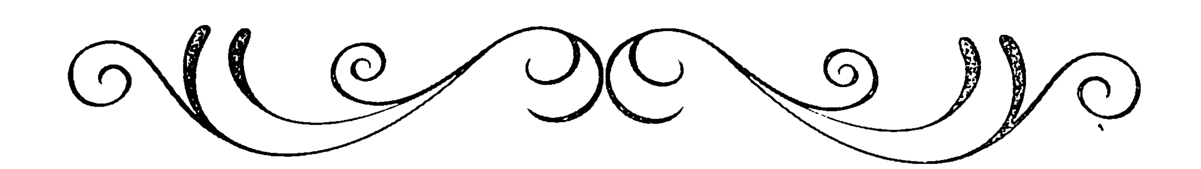
بحكاية ما نالهم من محنة

للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري
(ت: ٤٦٥ هـ)

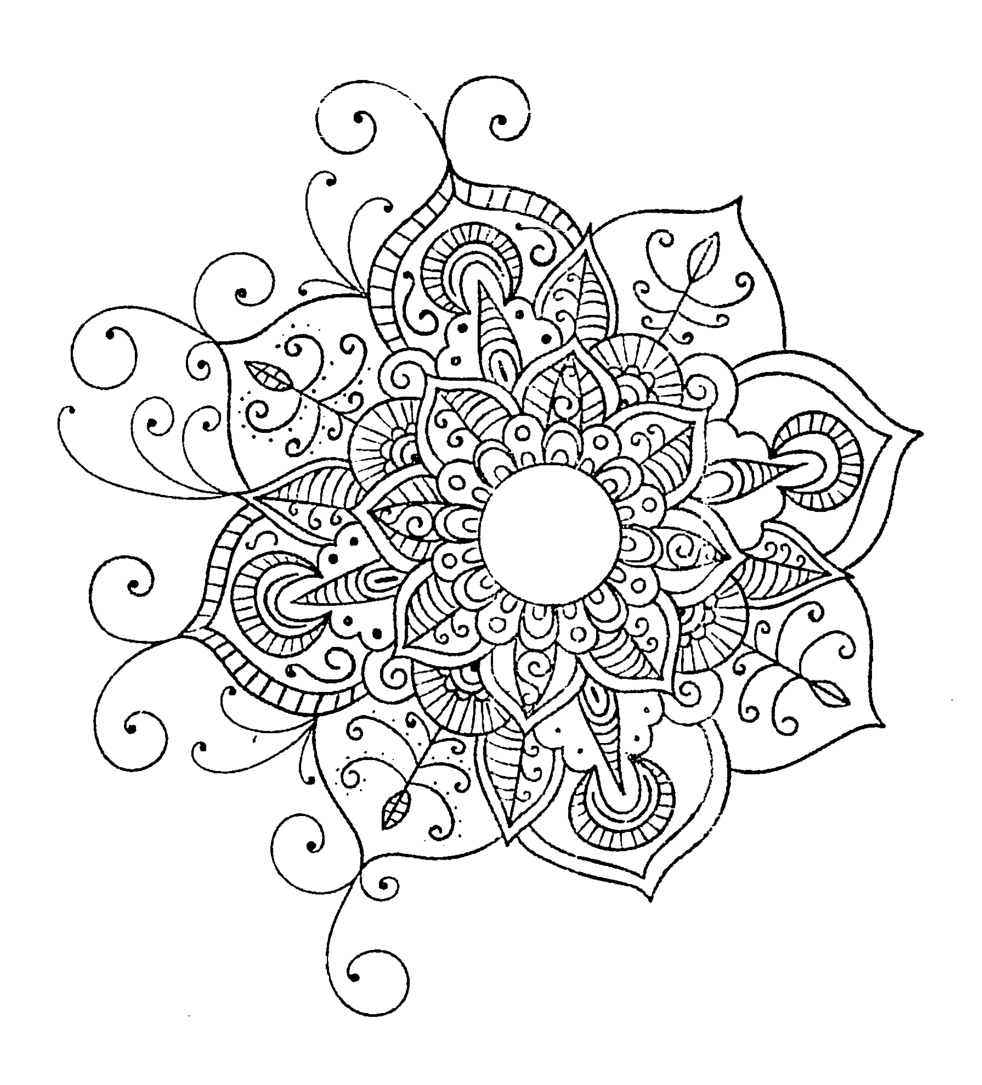
تحقيق

محمد خالد ذو الغنى محمد يوسف إدريس






بسم الله الرحمن الرحيم



كلمة افتتاحية

تحليل مفهوم (التجديد الحداثي) في الفكر والدين والأمة والتاريخ

نظرة في مفاصل التشكيك الحداثي

تَبِيْنُ هذه الكلمة الافتتاحية عن خطة عمل تطبيقية **(للرؤية حداثية)** للإسلام، بمفهومه العام والشامل، وتُظهر حجم الجهد الذي يقوم الحداثيون بإنجازه في رؤيتهم للثقافة المشرقية عمومًا، تاريخًا، ودينًا، وهويةً، وهي خطة تكشف جانبًا من نجاحاتهم في كثير مما يقومون به، وقد عملت على كتابتها بطريقة ما لو أنني حداثي مثلهم، لعلي أقتربُ من تمثُّل شخصيتهم، قصدًا إلى عكسها وإعطاء صورة مطابقة لمشروعهم الهدَّامي، لعلنا بعد قراءتها نعيد النظر في كثير من حيثيات منهجنا الدعوي الحالي، فأقول:

يؤرخ أتباع الحداثة بالعام (١٧٩٨م) لفترتين مفصليتين في تاريخ المشرق العربي؛ إذ يؤرخون به بدء انهيار الدعوة الإسلامية، وتجميدها واضمحلالها من ذهن المشرقيين وحياتهم الخاصة والعامة، وأيضًا، بدء حركة **(التجديد الحداثي)** في عالمي الذهن والواقع.

ويقصدون بالتجديد (**انطلاق حركة الحداثة الأوروبية في المشرق العربي الإسلامي تقليداً**).

فمنذ هذا التاريخ، صار الإسلام ينعت من قبل دعاة (التجديد) بالتقليدية والرجعية[1]... وغيرِها، وصار (**التجديد الحداثي**) ينعت بأنه: عصرَ النهضة العربية الحديثة، بكافة أبعادها؛ فأبناء هذا المشرق – كما يزعمون – بدءوا بخلع لباسٍ تقليديٍّ بال قديم، وارتداء لباس آخر حديث.

إذن، فمنذ ذينك العام، يعيش أبناء هذا (المشرق) في ظلال عصر النهضة، أي عصر التجديد والحداثة.

وقد انتقلت هذه (**الحركة**) من بلاد الغرب إلى بلاد العرب بعد اتخاذ الغرب خطوات تمهيدية، رعى من خلالها منهجا منظمًا للسيطرة على المشرق ضم جهود (الجوالين) الذين جابوا نواحي بلاد العرب، فكتبوا تقاريرهم وأرسلوها إلى مراكز البحث والدراسات، وبناء عليها، وضع مخطط الاستعمار الأوروبي لبلاد العرب، وضم أيضًا الكثير من (دور الصحافة)

---

(١) تتركز هذه النظرة عندهم على وجه الخصوص في العصرين المملوكي والعثماني من الخلافة الإسلامية، حتى انهم يَصِفُونها بصفتي الانحطاط والجمود، وإليهما يرجعان العلة في تدهور الأدب العربي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، والذي كان سبباً كافياً لتقبل فكرة الحداثة الأوروبية وتجلياتها المختلفة في العالم العربي، وفي نظري أن هذا تزييف للأسباب الموضوعية التاريخية التي أدت إلى تقوقع العالم العربي وتقرنصه كما سأذكره في الصلب.

التي فتحها عرب في البلاد الأوروبية وبرعاية حكومة غربية، والتي انتقلت بعد أن تشربت **سمّ الحداثة** لتعمل في كبريات العواصم العربية؛ فأنشأت دور الصحافة الحداثية، وبدأ كتاب يكتبون وهم بقيم الحداثة مبشرون، وبقيم العروبة والإسلام مشككون، بالإضافة إلى (بحوث المستشرقين) التي أصلت للسيطرة التامة على المشرق بكافة مكوناته[١].

ثم إن (الاستعمار الأوروبيَّ) لم يخرج من البلاد المشرقية إلا وقد مكن لهؤلاء التجديديين الحداثيين في دوائر الحكم وأجهزة الدولة ومؤسسات المجتمع، فتمكنوا أيما تمكن من الشرقيّ، بحيث لا يستطيع أن يتحلل من قيودهم الرقابية[٢].

---

(١) ولا ننسى في هذا الصدد دور المسحيين وخصوصاً اللتبانين فهم والذين استقطبتهم البابوية الأوروبية وتم عقد دورات لهم في الفاتيكات وغيره من الدول الأوروبية ثم عادوا ليأسسوا المدارس التبشرية التي استقطبت أذكياء أبناء المشرق وزودهم بما يلزم من الثقافة الجديدة، وأيضاً فقد كانت حجماً للبعثات الارسالية الاوروبية الدينية والعلمية، بالإضافة إلى المدارس التي انتشرت في الشرق من روسية وفرنسية وانجليزية، والتي كانت من أهم أذرع الاستشراق والتبشير بشكل عام. (تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، الاتجاهات الادبية في الأردن وفلسطين: ناصر الدين الأسد).

(٢) تتلخص الخطوات الأوروبية في سبيل تفويض قوة العالم الإسلامي في الخطوات التالية:

- نشر الجوالين، حركة الكشوف الجغرافية، الاستشراق، التبشير، الاستعمار، الغزو الثقافي الرسمي والشعبي، النهب الاقتصادي، رسم سياسات التعليم، رسم السياسات العامة للمشرق وربطة بالعالم الغربي عموماً، تقسيم أملاك الخلافة العثمانية كميراث ورثة

وقد كان من أخطر ما عملت عليه الحركة الحداثية الدعوة إلى حصر الإسلام عن سلطانه – أي كونه يمثل الجامع الحكومي – الذي بقي ممثلا له طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان، ليؤول حاله إلى مجرد تقاليد تمثل جزءًا من الأعراف المتوارثة، يستفاد منه فقط في تسيير حاجيات الناس عند الحاجة، أي صار رباطًا اجتماعيًا، أدبيًا وأخلاقيًا، لا حكوميًا، وكان أول ما أنجزه التجديديون إعلانهم الكلمة المشهورة في الدساتير العربية الوليدة من رحم المستعمر الأوروبي: (دين الدولة الإسلام) بدلا عن (نظام الدولة هو الإسلام)، وكان أن تحقق بذلك نبوءة النبي ﷺ: «**لتنتقض عرى الإسلام**

= أوروبا نتيجة الحرب الأولى إن ظاهر (الاسترداد) ظاهرة يعرفها خبراء التاريخ، ويضبطونها في الواقع، وقد ذكرها المقارضون في أماكن محددة من حلقات التاريخ، الركة استراد الأوروبين لإسبانيا، وكذا فقد قام المسيحيون في الشرق بعملية فكرية استردادية منذ انبعاث حركة التجديد الحداثي في الشرق لاسترداد ماضيهم القديم في السيطرة على الشرق. وفي إزاء حركة الاسترداد المسبحي تبدو حركة الإحياد، وهي أيضاً حركة ذات مفهوم منضبط تاريخياً، ذكرها مؤرخوا أوروبا عند بدأت أوروبا تخلص من الكنيسة في القرن الخامس عشر، وبدأت بإحياء الفلسفات الكلاسيكة اليونانية، والقوانين الرومانية، وهم يصفون حركة الرجوع إلى الماضي الجاهلي العربي لإحياء قيامه وفقاً لتفسير مخترع حداني بأنها رجعة إحيائية عربية كذلك. فحركة الاسترداد في الأملاك الأرضية، تقابلها حركة رجعية إحيائية في الماصنويات الوثنية، محواً لعهود عصور الديانات السماوية وطمساً لها.

عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، أولهن الحكم وآخرهن الصلاة»[١].

وقد أدى هذا الانحصار إلى تخصيص كلية للشريعة في جامعات البلاد العربية، الجامعات الحداثية، لتحتل منظومة الفكر العلماني التجديدي الحداثي باقي الكليات الجامعية، والتي سيتم بواسطتها تدريس أبناء الشرقيين علوم الحداثة، وهم بذلك يحسبون أنهم يحسنون علمًا.

وهكذا صارت (**الجامعة العربية الحداثية**) هي المنظمَ للبناءِ العلمانيِّ التجديديِّ الحداثيِّ لعالميِّ الذهن والواقع للطلاب الشرقيين في البلاد العربية، وصارت (الجامعة) متكئاً وقاعدةً للنُظُم الحاكمة في صياغة البنية التعليمية عند الشرقيين، وفقا لما يريده الفكر الحداثيُّ المسيطر على كافة أجهزة الدولة، ليخرج طلبة العرب وأذهانهم منظمةً وفق نظريات الفكر الغربي في كافة التخصصات، وصار حال الشرقي العادي، أنت إسلامي الطقوس ولكنك غربي في عالم الذهن وعالم الواقع، ولما تمكنت هذه الحالة من الإنسان الشرقي تَشَكَّلَ (**عقلٌ علمانيٌّ حداثيٌّ عربيٌّ**) كامل البنية، يستطيع الغرب أن يعتمد عليه أيما اعتماد في ربط الشرق بأكمله بأوروبا والغرب عموما، وقد انبثق من رحم هذا النظام التعليمي الحداثي دعاةُ التجديد والحداثة، وكونوا ما يعرف بطبقة (النخبة الفكرية)، أي مطبخ الثقافة

---

(١) أخرجه الحاكم عن أبي أمامة البابلي، وإسناده صحيح.

العربية الجديدة سواء في ذلك لرفد الطبقة الحاكمة الحداثية بما تحتاجه من أفكار، أو لرفد الشرقيين البسطاء بما يحتاجونه في حركة التحديث من قضايا في شؤونهم الحياتية المختلفة.

وقد أعقب هذا، أن راقب عقلاءُ الغربِ هذا (العقلَ) الذي تشكل في بواطن الناس شيئًا فشيئًا حتى إذا ألفوه قد بلغ حالة النضج أعملوا في الإسلام معاول الهدم من خلال ما يعرف بـ **[مشروع إعادة قراءة الإسلام]**، ولكن على أسس الحداثة، أو حداثوية نهضوية، فراحوا يحرفون مفاهيمه الأصلية وفق خطة محكمة، وهم في سبيل ذلك يحافظون على نفس المصطلح الدينيّ، إلا أنهم يبينون له معنى حداثيا جديدًا، سبيلهم في ذلك أسطرة المعاني التقليدية، وتزويد الألفاظ بالرموز، والتي تفتح بعد ذلك أمام العقل آفاق الانفتاح على الثورات الفكرية والأدبية الأوروبية، ويتحقق الاغتراب عن العلوم الأصيلة، ويترك حالتئذ لكل قارئ أن يقرأ النص بقراءته ورؤيته للنص التراثي أو الديني، كل ذلك ليكون تمهيدًا لتغيير مدلولات الأحكام الشرعية، كما وصلتنا عن السابقين، ولأجل؛ ذلك فقد أحببت الإشارة إلى شيء بسيط من حقائق هذا الفكر الحداثي والإشارة إلى شيء من أساليبه في التشكيك والتفكيك في الإسلام دينا وأمة وتاريخا.

وبقي أن أقول:

إن نظريات الفكر الحداثيّ هي عينُها النظريات التي يسير عليها أساتذة الجامعات العربية وخصوصًا في تخصصات (اللغة العربية)، وفي مجال

(الأدب العربي) على وجه الخصوص، لما للغة من دور فعال في إعادة تشكيل العقلية الشرقية وفقا للأسس الحداثية – فلا بد من إعادة تكييف الأداة أولا – حيث لا يدرس الطالب فيها أدب العرب بقواعد عبد القاهر الجرجاني أو السعد التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني أو الإمام السكاكي ... وغيرهم، ولكنهم يُعملون في عقول الطلاب حديثي التخرج من المدرسة الثانوية الأدب وفق أسس الفكر الحداثي، وفق مناهج مستوردة، من التفكيكية، والبنيوية، والنفسية، والاجتماعية، والإقليمية، وغيرها، حتى صار أدبنا العربي في أذهان جيوش الخريجين معيباً لأنه أدبٌ كتب تحت مظلة الإسلام، وعصور الانحطاط والجمود، وهو أدب لا يتفق ورؤية الحداثيين، فهم لا يريدون الارتباط به، لأن في الارتباط به إحياء مستمراً لتعاليم هذا الدين العظيم، من خلال أدب عصور الإسلام.

لقد اتفقت كلمة الحداثيين – بعد قراءات مطولة في كتب الأدب العربي والحديث – على وصف ابن قتيبة، وابن فارس في الصاحبي، وابن رشيق، وجميع علماء الأدب والنقد القدماء بالسطحية، مع أن الواحد منهم يعجز عن تدريس، بل قراءة خزانة الأدب للبغدادي.

هكذا، وصمت كتب أدبنا القديمة، ووصمت دراسات علمائنا القدماء بمقولة: السطحية!

وبالإضافة إلى ذلك، فقد أعملت نظريات العلوم الأوروبي **(المسماة بالعلوم الحديثة)** في بقية الكليات الجامعية، والشيء الغريب أن كثيراً من أساتذة

الجامعات – ولعدم معرفتهم بالتراث العلمي الإسلامي – تجدهم يقومون بشعائر الإسلام ويحافظون عليها ظاهرًا، ويدرسون في نفس الوقت نظريات الحداثة دون وعيٍ لما فيها من مخالفات لقطعياتِ الدينِ، فإن معظم (نظريات التعلم) التي تدّرس من خلال علم النفس التربوي مثلاً، مبنية على إنكار قطعيات في الدين، منها إنكار وجود الروح، والإرادة الإنسانية الحرة، وإنكار العقل، ... وغير ذلك، كقياس الإنسان على الحيوانات التي يجرى عليها التجارب، كل ذلك دون جامع يصح القاس بناء عليه بين الحيوان محل التجربة وبين الإنسان المكرم، إلا أن الأخطر من ذلك، أننا نجد الكثير من أساتذة كليات الشريعة حداثيين، علمانيين، تجديديين من حيث يعلمون أو لا يعلمون، وأرجو الله أن يجعل في هذه الصفحات القليلة بركة تثير اليقظة الباطنة في الإنسان الشرقي لينهض بواجبه تجاه الدين وهذه الأمة وتاريخها.

اعتبارا بما سبق، فإني أضع بين يدي القارئ الكريم هذه النقاطَ العشرةَ، كلُّ واحدةٍ منها يتناول رؤية حداثية لتفكيك [**البنية العلمية الإسلامية**] من جهة من الجهات، كما وصلتنا تلك البنية عن أسلافنا، وكل واحد من هذه النقاط حري بأن توضع له رسالة خاصة تكشف عن خطورة هذا المشروع التجديدي، والله من وراء القصد.

أولاً: مضامين المفهوم:

يشتمل مفهوم (**التجديد في الفكر والدين**) على عدة محددات، منها:

الحذف والزيادة والتعديل:

أما الحذف: فهي استئصال كل ما لا يتماشى مع الفكر التجديدي الحداثي من تراثنا العربي والإسلامي.

وأما الزيادة: فهو إرفاد تراثنا بما يتماشى مع الفكر الحداثي التجديدي.

وأما التعديل: فهو إعادة صياغة المفاهيم الدينية ليصح البناء عليها بعد ذلك.

ثانياً: موضوع مفهوم التجديد:

وضع مصطلح [**التجديد في الفكر والدين**] ليكون في مقابل المفهوم التقليدي للفكر والدين الإسلامي.

ثالثاً: للتجديد غايات ومقاصد ودوافع:

للتجديد في الفكر والدين دوافع، وكذا له غايات ومقاصد:

دوافع التجديد:

قالوا:

-كل تغير في الواقع لا بد من أن يصاحبه أو يواكبه فكر مناسب له في السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها، فمن غير المنطقي أن يتغير الواقع مع بقاء فكر الماضي حاضراً.

-إن أوروبا غزتنا وجلبت معها مجموعة نظم سياسية واقتصادية واجتماعية منبثقة من علوم عصور النهضة والحداثة الأوروبية،

بينما كانت الدولة العثمانية قد تحولت من حكومة الرابطة الجامعة للمسلمين إلى حكومة تركية عرقية، وبالتالي لم تستطع أن تجيب على تحديات العصر الجديد وظهور العجز عن الإجابة عن سؤال:

كيف يخرج المسلمون من تخلفهم[1]؟

-إلى حين الاستعمار كانت المعارف في الشرق هي معارف الإسلام التقليدية، وبحصول الاستعمار وما أتى معه من علوم حديثة ظهر الصدام بين المنظومتين المعرفيتين: الحديثة والتقليدية.

-وينبغي ملاحظة أن معارف الإسلام ولعصور طويلة، كانت تدور حول مركزها وهو الدين، فهذا هو سبب تخلف المسلمين، أي ابتعاد المسلمين وبتوجيه من الدين نفسه عن الاهتمام بالإنسان، وأما العلوم الحديثة التي جاء بها الاستعمار فإنها تدور حول مركز واحد هو الإنسان.

---

(١) ذكر الأمير شكيب أرسلان عناوين جميع المشاريع التي قدمت إلى البابوثية الأوروبية والتي تتضمن خطوات تقويض الإسلام ونهضة في الشرق في تعليقاته على (حاضر العالم الإسلامي)، فانظر ما فيه، لتعرف هوية المسؤول الحقيقي عن انتشار مظاهر الضعف في الممالك الإسلامية، ولتعرف حقيقة التزييف التاريخي برمي المسؤولية على عاتق عصري المماليك والعثمانيين.

هذا الصدام ولد ضرورة الاتجاه نحو التجديد في الفكر والدين إذ إن علوم ومعارف القرن التاسع عشر في الزيتونه والأزهر وغيرهما لم تعد قادرة على موجهة تحديات العصر.

-صدام الحداثة أعطى الضوء الأحمر أمام رواد الحداثة، بمعنى أنه إذا لم يحصل تجديد فماذا ستكون عليه النتيجة؟

أ-إما الذوبان الكلي في الغرب.

ب-أو البقاء الكلي في الركود.

النتيجة الجدلية: (العرب والمسلمون بين الركود المحض أو الحداث المحضة).

-يجب إظهار صلاحية الدين للتطور ومواكبة الحياة الجديدة، وإلا فإذا لم يستطيع الدين أن يتطور فأين يكمن العيب؟!

- ومع أن خيري باشا في تونس، هو أول من أدرك ضرورة التجديد الحداثي، وتبعه على ذلك مؤسسو مدرسة النهضة في مصر: جمال الدين ومحمد عبده، ثم محمد رشيد رضا، ثم محمد إقبال وحسن البنا، (وقد واكب ذلك استقرار الفكر الوهابي أو السلفي الذي يدعو إلى إقصاء علوم الشريعة والاستكفاء بمجرد نصوصها: الكتاب والسنة فقط، بدون علوم العصور الإسلامية) و(بذر بذور الدعوة إلى القومية العربية وتصوير الدولة الإسلامية

بصورة المستعمر والمحتل، فأدخل العربي في مرحلة تحرر من الإسلام في الحقيقة).

مقاصد التجديد:

١. إظهار صلاحية الدين للتطور والتفاعل.

٢. إعطاء حيوية للإسلام ذاته.

رابعا: محل التجديد:

يشمل التجديد مستويين: المضمون والشكل.

خامسا: ثمة أدلة دينية تفتح آفاق الدعوة إلى التجديد الحداثي:

١-إيقاف عمر بن الخطاب للعمل ببعض الأحكام.

٢- حديث المجددين الذين بعثهم الله على رأس كل مئة عاما تجديداً لشأن الدين.

ثم إن منهج التجديد والتحديث يفيد أن التجديد في الفكر والدين يجب أن يكون أمراً بنيوياً داخلياً، ولا يجوز أن يفرض من الخارج؛ لأن هذا الشأن يجب أن يقوم به أهل الدين أنفسهم عندما يدركون أهمية هذا العمل.

وكل هذا يدعونا إلى أن نسأل: كيف نمتحن نجاح أو إخفاق دعوة التجديد الحداثي؟ هل يكون ذلك من خلال الواقع الذي يفرض مقتضياته على الدين؟ أم من خلال أدلة الدين الداخلية الداعية إلى التجديد؟

وللإجابة على هذا السؤال، لا بد لنا من إدراك ضرورة مفادها: أن القول بالفكر المتجمد لا وجود له في عالم الإنسان، ولذلك يبقى التساؤل: هل يستجيب الفكر للتحديات أم لا؟

إلى ما قبل حالة الاستعمار كانت الاستجابة داخلية، ولكن الاستعمار منذ الحروب الصليبية فرض ضرورة التجديد، وخصوصاً عندما أحرج الاستعمار في عهد الحروب الصليبية العالم الإسلامي من خلال علومه المتقدمة (العلوم الحديثة) وتقدمه في الفكر العسكري، فمعارفهم تطورت على حين غفلة منّا، أي أنهم: (فرضوا علينا فكرهم من خلال كل شيء).

سادسا: آفاق دعوة التجديد:

ثمة أمران هما فقط الصالحان لإقامة مشروع التجديد الحداثي:

١ – الدين.

٢ – والفلسفة.

وعنهما ستنبثق كافة النظم: العقائدية والعبادية والإدارية والاجتماعية والأخلاقية، والتي ستقوم عليه دولة عربية مدنية حداثية خالصة، مع اعترافنا بعدم القدرة على تخليص المنطقة العربية من جميع مظاهر الإسلام، إذ نعترف بأن هذه المنطقة هي مهد جميع النبوات السماوية كما يعتقد أبناؤها، فدورنا تأويلي تفسيري، لا اجتثاثي استئصالي.

فللدولة عناصر مشتركة: الأرض، الشعب، الإدارة[1]، ويبقى عنصر رابع هو محل الاختلاف وهو التشريعات، فالشعوب يتساوون في الثلاثة الأولى، خصوصا في جانب الإدارة الحكومية، وقد يكون لكل زمان ترتيب إداري مناسب، والشعوب يتبادلون المنفعة فيما بينهم، ولكن يبقى أن نعرف مشتملات الإدارة ومشتملات التشريعات.

أما **الإدارة** فتشمل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية ... إلخ.

وأما **التشريعات**، فتشمل الدستور والقوانين، وهذا بحسب الدولة في المنظور الحداثي.

قالوا:

للأسف حركة التجديد لم تستطع – إلى الآن – الوصول إلى كل المراتب المرجوة من التجديد الحداثي، نعم، تحقق ثمة تجديد في الماديات والقيم ولكن وقفت دون (علوم المشكلة) وهي (العلوم التقليدية) وهي (علوم الشريعة وعلوم العربية) فإن ثمة كمية كبيرة من القداسة جعلت على

---

(١) أصل كلمة (إدارة) في اللغة وعاء كان العربي يحفظ الماء العذب فيه، ثم انتقل في العلم الحالي إلى الجهاز المسؤول عن رسم سياسات عمل ما، بجامع عدم إمكان الاستغناء عنهما في الحياة والعمل.

الدين وعلومه وعلمائه، فهذا هو المأزق، وهو عائق يحول دون التجديد والتحديث.

وعندما يراد أن يطال التجديد الدين وعلومه مباشرة يرمون المجددين بتهمة نسف الدين أو أنه مخالف للدين، وقد استعمل في سبيل ذلك إعطاء القداسة للعلماء التقليديين، أنهم قالوا (القول الفصل) وبالتالي تستعمل كلمة (عالم) بالمعنى التقليدي لإقصاء (عالم) بالمعنى المعاصر مع أن هؤلاء أكثر امتلاكًا لعلوم التجديد من السابقين أو التقليديين.

وحتى من صرح بضرورة التجديد من داخل الدائرة الدينية فإنه تم تهميشه في حين كتب النجاح لمن ركز على الحماسة والحمية الدينية، ويمكن أن يمثل لذلك بكل من محمد إقبال وحسن البنا، ففي حين ركز محمد إقبال على قضيتين: ختم النبوة والشريعة الإسلامية، أما ختم النبوة فقد قرر إقبال أن بإعلان ختم النبوة بالوحي للنبي محمد فقد انتهى عصر الأدوات المعرفية السابقة ليبدأ عصر أدوات الوحي لا غير، وصار الشعار المنغلق دون التحديث: (أنتم بالوحي فقط تشتغلون)،وأما الشريعة الإسلامية فإنها وضعت في زمان نزولها في سياقها التاريخي، ويمكن تبديل أحكامها كقطع يد السارق في سياق تاريخي آخر.

هذا المنهج الفكري عند إقبال قد تم إقصاؤه وإماتته من قبل المشايخ.

أما حسن البنا فنادى بإحياء الدين لا تجديده، فهو متمسك بجذوره الأصولية ولم يقترب بالتجديد من أصول الدين وثوابته، ولذلك تو تدويله عربياً وإسلامياً.

سابعا: عناوين ومصطلحات (المفاهيم):

يتداول أصحاب الشأن الديني عدة مفاهيم:

-النهضة.

-الإحياء.

-الصحوة.

-التجديد.

-الإصلاح.

أما النهضة والإحياء والصحوة فدارت حول مقاومة التحديات، ولذلك كانت الأكثر حضوراً وشيوعاً؛ لأن المؤسسة الدينية تعتمد على جهالة الناس بل والحفاظ على تجهليهم بالدعوات الأخرى.

وأما الإصلاح فدار حول أمرين:

الأول: إعادة بناء الأسس الأصلية في الدين.

الثاني: تقويم المعوج.

وأغلب من عمل تحت شعار الإصلاح اشتغل في الثاني وابتعد عن الاشتغال في الأول.

وأما التجديد فطال الأول، وهو [العمل على إعادة بناء أصول الدين وجذوره]، وهذا ما كان واضحاً جلياً في منهج إقبال، ولما كان السابقون مقتنعين بسلامة الأصول عملوا في المجال الثاني لا في الأول.

ويجن أن نعلم أن (التجديد الحداثي) هو إعادة بناء جذري حتى للأصول، ولهذا فإن الحداثة حركة شاملة تشمل تجديد الفكر والدين والإنسان، وما هو أعم من ذلك، دون الوقوف بالتحديث والتجديد عند مستوى معين.

ثامنا: تحديات دعوة التجديد.

تواجه دعوة التجديد تحديات تعوق دون وصولها إلى حالتها التامة، ومن هذه التحديات:

١. ارتباط التجديد تاريخياً بطائفة الفقهاء، وهذا منع تاريخياً غير الفقهاء من إحداث تأثير تجديدي في الدين، وهو الآن من أهم العوائق، وهذا خلق صراعاً بين كل من الفقيه والمفكر، حتى عرف في هذا العصر قضيته (محنة المفكر).

فانظر مثلاً ماذا حصل مع كل من نصر حامد أبو زيد، ومع المفكر السوداني محمد طاهر كمفكرين حداثيين.

تحليل هذا التحدي:

هناك نموذجان للعالِم:

- التقليدي.
- والتجديدي.

فـ[الفقيه التقليديُّ] يدافع عن موقعه ومركزه خوفاً من أن يخسره، ومنشأ هذا الخوف شعوره الداخلي أنه لا يمتلك أدوات البحث العلمي الحديث (المناهج الحديثة)، وحقيقة التجديد لا تكون إلا عند من يملك تكلم الأدوات، ثم يقوم بتطبيقها على النصوص القديمة لإنتاج فهم جديد يواكب الحياة الجديدة. في حين نجد منطق الفقيه منصب في التبرير والدفاع عن التاريخ، فتكون النتيجة: (من لا يستطيع أن يواكبك يعمل في هدمك حتى لا تتقدم عليه)، فالصراع الحقيقي بين الفقيه والمجدد في المكان والمنصب.

وهؤلاء الفقهاء يجب أن يدركوا أن الإسلام ليس كنيسة، بل هو مفتوح وملك للجميع، وليس ملكاً لحزب ولا لفئة، ولا لسلطة، ونقول أيضا، ثمة في التاريخ مزارع وطبيب وتاجر، وكلهم ساهموا في تجديد حركة الدين عبر عصور التاريخ، فلا تمنعونا من التجديد فتكونوا وصلة لمن كان سابقا من الفقهاء المتحجرين فنكون متأخرين حتى عن سلفنا الصالح، فالدين ملك للجميع.

وأولى أولوياتنا في ذلك النظر في نظام التعليم الحالي، فهناك طامات، حين نرى من يتكلم في الدين ولا يمتلك أدوات البحث العلمي الحديث كـ (التأويل) وغيره، فإن التجديد حق لكل من عنده معرفة بأدوات البحث، يعني (العلوم الحديثة) أي علوم عصر النهضة الأوروبية.

وكذا عندما يكون علم الفقيه مبنياً على أدوات البحث العلمي الحديث سيكون قادراً على المواكبة، خذ مثلا شيخ الشيخ الطاهر ابن عاشور الشيخ محمد النخلي التونسي المتوفي سنة: (١٩٢٤م)، والذي تأثر به الطاهر كثيراً، كان يأتيه كافة رجال الدعوة والعلم من المغرب العربي فيقول لهم: ليكن عندكم عقل ناقد، فإن التراث فيه المشكلة وفيه الحل وفي مصر خلف الله، وعائشة عبد الرحمن، ولكن الشهرة ذهبت للتيار الإسلام السياسي لا لمثل هؤلاء التحديثيين التجديدين بالمعنى الحقيقي العلماني للكلمة.

خذ أيضاً بورقيبا، فقد كانت له اجتهاداتٌ، وكان معجباً بالنهضة وبشكيب أرسلان وخير الدين باشا، فإنه قد اجتهد في الإصلاح الإداري ولكنه اصطدم بالزيتونه، فأنشأ معهداً حديثاً خاصاً مقابل الزيتونه.

٢. ارتباط الدين بمؤسسة دينية كانت تنوب عن الناس في تفسير الدين مستغلة جهل الناس في ذلك.

الآن، المواطن عنده أدوات لمعرفة الحديثة فليباشر التجديد في الدين.

وفي الحقيقة، هذه المؤسسة الدينية بقيت لقرون تعيش خارج التاريخ، وانحصر خطابها في الحديث عن المطلقات، والتلقين، فكانت النتيجة أن

تقوقعت على نفسها مع مرور الوقت فعاش الناس في حضن غفلتها وتقدم الآخرون، ولما أفاقت على الواقع المؤلم لم تستطع مواجهة أو مواكبة الحداثة فارتمت في أحضان الدولة وعملت للسياسيين تبريرا لمواقفها، ولهذا نجد أن دعوة التجديد الديني انبثقت عن أفراد لا عن مؤسسات"[١].

كل هذا يقودنا إلى الإشارة إلى عوائق الجري بالدين إلى أعلى مراتب الحداثة والتجديد.

عوائق التجديد:

١- **العائق الاجتماعي**: ما زالت مجتمعاتنا محافظة وليست نزاعة إلى التجديد ولهذا كان جمهور الدعاة أكثر.

٢- **العائق السياسي**: محاولة السياسي توظيف الدين لمصلحته (هيمنه السياسي على الدين)، فلا بد من الفصل بينهما.

٣- **العائق المنهجي**: ما زالت المناهج الجديدة لم تأخذ مكانها بين، فيجب إنجاز شيء في ذلك.

٤- **العائق الخطابي**: يجب الدعوة إلى تبسيط الخطاب التجديدي ليصل إلى الجماهير حتى يتمكن المواطن من فهمها.

---

(١) انظر إلى هذه الجهود التي يقدمها الحداثيون يحاولون فيها وضع تأصيل لفهم مشلكة التخلف الشرقي بوضع أسباب وعلل ترجع إلى نفس الدين، ويتناسون قصداً عن جميع ما قامت به أوروبا من خطوات منذ عصر نهضتها لتقويض العالم الإسلامي.

٥- **العائق الحكومي**: أن المؤسسة البطريركية لا تريد من أصوات التجديد أن تعطى حقها في حين أنها تكون مقبولة من المؤسسات الغربية.

تاسعا: دعوة التجديد والسلطة:

حركة (التجديد الحداثي) في الفكر والدين دائمة الاصطدام بالسلطة، سواء السلطة السياسية، أو الثيوقراطية أو الاجتماعية أو التاريخية أو غير ذلك.

وهذا الاصطدام ولد السؤال: من يتولى شأن التجديد؟

وقد صنف دعاة التجديد هذا الشأن في عداد أنه مرهون بالموقف الأخلاقي أي أن التجديد ذو ارتباط وثيق بمسألة الإيمان؛ لأن التجديد هو إنتاج فكر جديد عن الدين أو حوله[1].

فالتجديد: حركة منبثقة من خصوص العلاقة بين الإيمان والدين.

ولتوجيه ارتباط التجديد بالعلاقة بين الإيمان والدين نقول: يخطئ من يعتقد أن الدين هو المعرفة الوحيدة على الأرض فتنحصر مهمة رعاية شؤون الدين من علماء التاريخ.

---

(١) إذن، فقد سار الأوروبيون في خطين متوازيين لتقويض العالم الإسلامي وإضافة، الأولى: تطويق العالم الإسلامي أرضيا كمقدمة لاستعمارة، والثاني تطويفة معنويا يوضع رؤوية تجديدة للدين واللغة العربية لإعادة تفسيرهما.

ثم إن ثمة فرقا بين المصلح والمفكر والمجدد، فالتجديد في المسيحية لم يقم بالتجديد فيها من لا يعتقد بالمسيحية، ولكن قام به من هم علماء متخصصون في اللاهوت، فاستعملوا معارف العصر ووظفوها في تجديد دينهم، وهذا ما يجب أن يحصل في الدين الإسلامي، يجب على المؤمنين به القيام بهذه المهمة، فالعالم غير المتدين الأصل فيه أنه غير معنى بالتحديد.

ولذلك، فنحن مسلمون ولا نحتاج إلى حزب إسلامي.

ومن أكبر الخطأ حصر التجديد في مكان معين، فالمسلمون منتشرون في كل بقاع العالم فيجب أن يكون التجديد دعوة عالمية لا تستثني مسلماً.

وحتى نصل إلى هذا الفهم الشامل، يجب تحرير الإسلام من جميع السلطات وإلا كان الاهتمام بالشكل على حساب المضمون كما اهتم بعض المسلمين بشكل الصلاة على حساب المضمون (انطلاق الروح).

وعلى الجميع أن يفهم في ظل ذلك أن التجديد ليس دعوة إلى اجتثاث الدين، ولكن دعوة إلى تصحيح مسار القرن الحادي والعشرين للخروج من منطق العبودية إلى العقل المستنير، وللقضاء على مقولة الاستبداد ضد المجددين القائلة: لا يجوز لغير لمتشرعين الكلام في المفاهيم الدينية.

عاشرا: هل الإسلام السياسي قادرٌ على إنجاز التجديد في الفكر والدين؟

بالنظر إلى واقع حركات الإسلام السياسي نجد تشتتا:

هناك من ربط التجديد بالخلافة (السلطة).

هناك من ربط التجديد بالحزبية.

هناك من ربط التجديد بالتربية.

هناك من ربط التجديد بالتمسك بالتراث الماضوي.

وأكثر حركات الإسلام السياسي تقدما في خطاب التجديد (حزب النهضة) التونسي، فإنه ما بين السبعينيات واليوم فإنه انجز خطوات كبيرة في التحديد إلا أن هذا التجديد لم يطل الأصول والجذور في الدين، فهو تجديد في العمل لا في الأصل، فإن راشد الغنوشي يتمسك بالمرجعية المالكية ظاهراً، هذه الحركة الاستقطابية التي أخرجت المجتمع في طرف معين من الاستقطاب الشديد بين المحدثين والمعتزلة وانتهت الحركة المالكية بتغليب العقل على النقل.

نعم، حركة **(الإسلام السياسي)** خطت خطوات في التجديد لكن يجب أن تستمر حتى النهاية لينال التجديد جميع الأصول.

صور تطبيقية من رؤية الحداثيين لعلاج القضايا في البلاد الإسلامية:

أذكر فيما يلي عناوين بعض الأمثلة التي يهتم بها الحداثيين في دراسة وعلاج بعض القضايا في البلاد الإسلامية، والتي يهتمون بالربط بينها وبين القانون الدولي، متجاوزين الشريعة الإسلامية، وتكون أداة هذا الربط في

الغالب عبر ما يسمى بـ [الدراسات الجامعية]، لنتبصر جميعا في حقيقة الدور الوظيفي الذي تقوم بها الجامات العربية، وكيف أنها الأداة المناسبة لربط قضايا العالم الإسلامي بالقانون الدولي، وكيف يتم إلزام النظم والحكومات بإعادة صناعة دساتيرها وقوانينها مرغمة لتوافق هذا الربط.

اخترت لأجل ذلك ثلاثة مجالات حيوية:

الأولى: قضية قوانين المرأة.

الثانية: إعادة تصنيع الحداثة للنظام العادل في الإسلام.

الثالث: أسلمة الديمقراطية.

فهل نقبل كمسلمين أسلمة الباطل، أو إخضاع الإسلام للباطل، متظللين بشعار أن لا جمود على التاريخ، أم أننا نريد نقدا يتبعه تقويم وتأصيل، بصناعة إسلامية خالص؟

أرجو أن أكون قد وفقت في الولوج إلى داخل العقل الحداثي، والعقل الي يروج في هذه الأزمان، مستظلاً بمظلة العلوم الحديث، والأيديولوجيات المعاصرة، وبهذه النظم التابعة، لأصور طريقة التفكير التي يتتبعها الحداثيون العرب في موقفهم من المشرق ودينه العظيم: الإسلام.

والله من وراء القصد

محمد يوسف إدريس

حقيقة

عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعريّ

قال الإمامُ الكبيرُ الحافظُ الفقيهُ أبو بكرٍ البيهقيُ رضي اللهُ عنه:

(... إلى أنْ بلغتِ النوبةُ إلى شيخِنا (**أبي الحسنِ الأشعري**)، رحمه الله، فلمْ يُحْدِثْ في دينِ الله حَدَثاً، ولمْ يأتِ فيهِ بِبِدْعَةٍ، بَلْ أَخَذَ أقاويلَ الصحابةِ والتابعينَ، ومَنْ بعدَهم مِنَ الأئمةِ في أصولِ الدينِ؛ فَنَصَرَها بزيادةِ شرحٍ وتبيينٍ، **بخلافِ زَعْمِ أهلِ الأهواءِ مِنْ أنَّ بعضَهُ لا يستقيمُ في الآراءِ**، فكانَ في بيانِهِ تقويةُ ما لم يُدَلُ عليهِ مِنْ أهلِ السنةِ والجماعةِ، ونُصرةِ أقاويلِ مَنْ مضى مِنَ الأئمةِ كأبي حنيفة وسفيان الثوري مِنْ أهلِ الكوفةِ، والأوزاعيِّ وغيرِهِ مِنْ أهلِ الشامِ، ومالكٍ والشافعيِّ مِنْ أهلِ الحرمينِ، ومَنْ نَحَا نحوَهما مِنَ الحجازِ وغيرِها مِنْ سائرِ البلادِ، وكأحمدِ بنِ حنبلٍ وغيرِهِ مِنْ أهلِ الحديثِ، والليثِ بنِ سعدٍ وغيرِهِ، وأبي عبدِ الله محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ، وأبي الحسينِ مسلمِ بنِ الحجاجِ النيسابوريِّ: إمامي أهلِ الآثارِ وحفاظِ السننِ التي عليها مَدارُ الشرعِ، رضي الله عنهم أجمعينَ اهـ.

تبيين كذب المفتري:(ص١٠٣)

وطبقات الشافعية:(٣/ ٣٩٧).

حقيقة عقيدة الإمام البخاريّ

قال أمير المؤمنين في علم الحديث الحافظ

ابن حجر العسقلاني الشافعي الأشعري

«مع أنَّ البخاري في جميع ما يورده من تفسير [**الغريب**] إنما يَنقلهُ عن أهل ذلك الفَنِّ، كأبي عبيدة والنّضر بن شُمَيْل والفَرّاء وغيرهم، وأما مباحثه [**الفقهية**] فغالبها مُستمدة له من الشّافعي وأبي عبيد وأمثالهما، وأما [**المسائل الكلامية**] فأكثرها من الكَرابيسي وابن كُلاّب ونحوهما».

[شرح الحديث رقم ١٤٢، ج١ ص٣٢٣]

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله، وأصحابه أجمعين، أما بعد:

أضع هنا بين يدي القارئ الكريم، بإذن المولى الغفورِ الرحيمِ، الرسالةَ المسماةَ بـ:

شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من محنة

والتي بعث بها الإمامُ **عبد الكريم القشيري**، عليه أطيبُ رحمات الله، إلى سائرِ البلاد والأمصار، يشكو فيها ما نال **أهلَ السنةِ الأشاعرةَ** من المحنة على يد [**مُجسمةِ**] ذلك الوقت، الكرامية، وهؤلاء المجسمة هم في الحقيقة السلَف الحقيقيون للوهابية المعاصرة، التي تدّعي الانتسابَ إلى السلف الصالح زورًا وبهتانًا.

و(**الرسالة**) منقولةٌ من كتاب (**طبقات الشافعية الكبرى**) للإمام تاج الدين السبكيِّ.

وكأن التاريخ يعيد نفسه في زمن ضَعُفَ فيهِ **أهلُ السنةِ**، وتقوَّى أهلُ البدع والجهل، وقلة العلم، وأصبحت لهم دويلاتٌ وصولاتٌ وجولاتٌ. فهنا دولة تدعم أهل التجسيم وتتبنى عقائدهم، وهناك دولةٌ تدعم التشيع

وأهله وتدعم عقائدهم، وقد أجتمع كلاً من الفريقين على باطله، وأهل السنة قلَّ اجتماعُهم وتفرقوا عن حقِّهم... وإنا لنسألُ اللهَ عز وجل أن يقيد لهذا الدين من يحمل همه ورايته، ويجمع أهل السنة وعلماءهم على الحَّق كما كان من الإمام القشيريُّ في عصره.

ولكي نلخّص أحداث وحيثيات الرسالة، نقول:

إنَّ هذه المحنة جرت سنة: (٤٤٥هـ)، وكانت في نواحي نيسابور، حيث دفع وزيرُ سوءٍ اسمُه الكندريّ، من ورائه غلاة المجسمة يأزّونه أزّا، دفع إلى الخطباء أن يسبّوا **الإمام أبا الحسن الأشعريَّ** والافتراءَ عليه بمسائلَ مكذوبةٍ على الإمام وعلى الأشاعرة، كما ضيّق فيها على علماء الأشاعرة، ونالهم من البأساء والضراء ما نالهم، فانتفض سيّدنا **الإمام عبد الكريم القشيري**، ذلك العالم المتصوّف العابد، فكتب هذه الرسالة (**شكاية أهل السنة**)، وبعث بها إلى جميع الأمصار، يردّ بها على تلك الافتراءات بما يفنّدها، وهاب بالعلماء في الأمصار أن ينصروا أهل السنة وإمامَهم أبا الحسن الأشعري، رحم الله الجميع، و جعلهم خير خلف لخير سلف.

وقد جالت هذه الرسالة فِي البلاد، وانزعجت نفوسُ أهلِ العلم منها، وقام كلٌّ منهم بحسَب قوته، ودخلت **بيهق**، فوقف عليها **الحُافِظ البيهقي**، ولبى دعوتها، وكتب الرسالة إلى العميد التي انفصلنا الآن عنها، ثم دخلت **بغداد**، فكتب الشيخ **أَبُو إسحاق الشيرازي** من الشافعية، **والقاضي الدامغاني** من الحنفية، وغيرهما من الفريقين ما أدت القدرة إليه.

وقد أورد **الحَافِظ البيهقيُّ** -**أمير المؤمنين في علم الحديث، الذي لا يبارى ولا يجارى**، بعضَ هذه الرسالة فِي كتابه (**الأسماء والصفات**)، ونحن نرى أن نوردَها كلَّها، فإنه يُخْشَى على مثلها الضياع إذا تمادى الزمان، فإن هذا شأنُ المصنفات اللطاف، لا سيما ما يغيظ أهل الباطل، فإنهم يبادرون إلى إعمال الحيلة فِي إعدامه.

لقد كان عند **الشيخ الإمام**[١] نسخة من كتاب (**تبيين كذب المفتري**)[٢] لا يُحسِنُ الرائي أنْ يقرأ منها حرفًا؛ لما هو مكتوب فِي حواشيها، وبين أسطرها، من أمور لا تتعلق بالكتاب، بخط بعض فضلاء الحنابلة، الذين يلمزون ببعض الأشاعرة، فسألت الشيخ الإمام، فَقَالَ: هذه النسخة شريتها من تركةِ الحَافِظ سعدِ الدينِ الحارثيِّ، وكأنهم كانوا يريدون إعدامَها، ولكن

---

(١) يشير الامام تاج الدين السبكي إلى والده المجتهد المطلق تقي الدين السبكي.

(٢) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، للإمام المبجل ابن عساكر، من أساطين علم الحديث، رواية ودراية، صنفه لما رأى المجسمة طاعنين في أهل الحق، الأشاعرة، وناسبين إليهم وإلى إمامهم الأكاذيب، فقام بحق الرد عليهم، وبيان الحق، وإرجاعه إلى أهله، وهو كتاب نفيس جداً، جمع فيه تراجم علماء الأشاعرة من الأكابر الأعيان، وذكر فيه الكثير من الحقائق، ورفع فيه الكثير من الشبهات، وقد قام الإمام محمد زاهد الكوثري، إمام المشيخة الإسلامية في زمن الخلافة العثمانية المتأخرة بتحقيقه، وكتب مقدمة له في تاريخ الفرق الإسلام، واختلاف أهل المِلة فيما اختلفوا فيه في أصول الدين. (ي).

كتاب (**التبيين**) كثير العدد فِي الوجود، لا يستطيع الخصم أن يحصره ويعدمه، والله تعالى يتولى إن شاء اللَّهُ حمايته ورعايته.

فإن قلت: فإذا كان الحال على ما وصفت، فلِمَ لا شرحت لنا رسالة البيهقي كلها؟

قلت: لأن الحْافِظ استوفاها، فكأنه أحال علينا فِي (**رسالة القشيري**)، ونحن نُحِيل عليه فِي (رسالة البيهقي).

محمد خالد ذو الغنى

ترجمة الإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه
إمام أهل السنة والجماعة (٢٦٠ـ ٣٢٤هـ)

نعرض فيمايلي نبذة مختصرة من تاريخ إمام أهل السنة والجماعة، الإمام أبي الحسن الأشعري، رضي الله عنه، وسوف نجعلها في ضمن العناوين التالية:

نسب الإمام:

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعريّ[1].

مولده ووفاته:

ولد الإمامُ أبو الحسن في البصرة سنة٢٦٠هـ وتوفي بغداد سنة ٣٢٤هـ.

---

(١) الأشاعرة في الأصل قبيلة يمنية قديمة، وفد بعضهم إلى النبي ﷺ في المدينة المنورة، فأسلموا، وحسن إسلامهم، وهم من قبلوا البشرى من رسول الله ﷺ، وشهد لهم رسول الله ﷺ برقة الأفئدة، وبالعلم، وقد بلغ الصحابي الجليل مبلغا عظيما في العلم، وهو من انتدبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه في التحكيم المشهور بينه وبين معاوية رضي الله عنه، وما زال العلم والإيمان فيهم حتى خرج منهم من صار إمام أهل السنة، وهو الإمام أبي الحسن رضي الله عنه.

حياته الشخصية والعلمية:

توفي والدُ الإمام أبي الحسن وهو صغير، وأوصى بأبنائهِ إلى زكريا الساجيّ الذي كان إماماً في الحديث والفقه في عصره، فـ[حدث] الإمامُ الأشعريُّ عن الساجي، وأخذ [الفقهَ] عن أبي إسحاق المروزي في جامع المنصور حتى برع في الفقه الشافعي، وأخذ [علمَ الكلام] عن أبي علي الجبائي المعتزلي، ثم تركه بعد ترجح بطلان مذهب المعتزلة عنده ورجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة[1].

أوصاف الإمام العلمية:

قال الإمام السبكي في طبقاته واصفا الإمام: (شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى ... شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد

---

(١) لا يعني تركه للاعتزال الذي تعلمه أولا عند المعتزلة ثم انتقاله إلى مذهب أهل السنة أنه ترك علم الكلام، لأن علم الكلام شيء، والاعتقاد شيء آخر، فعلم الكلام طريقة ومنهجية، يتبعها العالم في نظره وحجاجه وجداله وبحثه، والناس قد تختلف في جوانب قليلة وكثيرة من طرق نظرهم، ومناهجهم التي يتبعونها في النظر والبحث والتفكير، وأما الاعتقاد فهو عبارة عن مجموعة القضايا التي يعتقدها في الإلهيات والنبوات والسمعيات، فهو لما ترك عقائد المعتزلة، قام بعملية نقد لعلم الكلام نفسه، فأسس قواعده، وميز الكلام السني عن غيره، فالكلام منهجية عامة، تقال بالتشاكك على جميع مناهج أهل القبلة في البحث والنظر، والنظار والجدال. فلا يلزم من ترك معتقد الاعتزال ترك المنهجية بالكلية. (ي).

المرسلين، والذابِّ عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين ... إمام حبر، وتقيٌ برٌّ، حما جنابَ الشرع من الحديث المفتري، وقام في نصرة ملّة الإسلام، فنصرها نصراً مؤزراً ...أهـ"[١].

تعقيب التاج السبكي على الإمام الذهبي:

عاب الإمام الكبير تاج الدين السبكي على شيخه الإمام الذهبي تركَه ذكرَ الإمام أبي الحسن الأشعري وعدم ترجمته له[٢].

ترأسه لمذهب أهل السنة والجماعة:

لم يكن ترأس الإمام أبي الحسن لمذهب أهل السنة مجرد لقب فخري خلعه من وافقوه عليه، وإنما استحق هذا بعلومه التي استطاع أن يُخضع

---

(١) طبقات الشافعية: (٣/ ٣٤٧) وقال الإمام تاج الدين السبكي. (ي) وأشير بـ(ي) إلى الفقير إلى ربه محد يوسف إدريس.

(٢) أنظر الطبقات: (٣/ ٣٤٧). ولأجل ذلك، أي لأجل تقصير الذهبي، وهو تلميذ ابن تيمية، والمتأثر بعقائد المجسمة، في ترجمة الإمام أبي الحسن في كتابيه (تاريخ الإسلام) و(سير أعلام النبلاء) وغيرهما، فقد أفاض الإمام السبكي في ترجمته للإمام الأشعري مع ما يتناسب وقدره ومنزلته عند أهل السنة. وقد قصر في ذلك أيضا الحافظ ابن كثير، لتأثره أول شأنه بابن تيمية، والذي اكتفى بذكر سطور معدودة نقلها عن ابن خليكان وابن حزم. وإذا عرفت دواعي الإهمال والإغفال، وهو مخالفة هؤلاء لعقيدة أهل السنة، زال الاستغراب والعجب، فإن آثار التأثر بمنهج التجسيم قد ظهرت على أئمة كبار في الفقه والحديث، كالذهبي وابن كثير، وكذا ابن خزيمة، وغيرهم. (ي).

القاصي والداني لها، حتى شهد له بذلك الخلفاء والأمراء والعلماء، وإن من يستقرئ حياة الإمام ويتتبعها، ستتوافر عنده أدلة استحقاقه لذلك اللقب، شيخ أهل السنة، فقد بلغ الرجل مبلغ الرأس في الاعتزال، وكانوا يتحامون به، وينتصرون به، ومن يكون هذا شأنه لا يكون ضعيف الشأن، بائس الحال، في نصرة مذهب أهل السنة، وقد عمد الإمام، كما يشهد معاصروه من علية العلماء والأئمة، بوضع كتبٍ يعارض فيها كلَّ كتابٍ وضعه زمان كان معتزليا، كما قام بتأليف الكتب والمصنفات الفريدة في نصرة السنة وأهلها، حتى شهد له بالفضل وعلو الكعب، في النظار والجدال والبحث والتأسيس والـتأصيل الجميعُ، وصار الرأس المقدم فيهم، وقد منيت جل مؤلفات الإمام بالتلف بسبب إفساد التتار لدار السلام، عاصمة الخلافة العباسية، بغداد، فكان أن ضاع كثير من كتبه وقت ذلك الخراب، ولم يصلنا منها إلا النزر اليسير، كالإبانة، واللمع، ورسالة أهل الثغر، ورسالة استحسان الخوض في علم الكلام، إلا أن من أعظم ما تركه الإمام ووصل إلينا كتابه الدال على الرئاسة والإمامة على الوجه الحق لأهل السنة هو كتاب: مقالات الإسلاميين.

ولن ننسى ههنا أن نشير إلى الخدمة الغالية الرفيعة التي قام بها الإمام المجتهد ابن فورك، والذي أسعفته العناية الإلهية، بأن قدر الله تعالى له أن يقوم بتلخيص ما كان عنده من كتب الإمام ابي الحسن قبل تلافها، جعل

تلخيصه ذاك في كتاب دل عنوانه على مضمونه: مجرد مقالات الإمام الأشعري، وفيه يذكر الكثير من أسماء مصنفات الإمام.

ونود أن نذكر بعض ما قيل في حق منهج الإمام أبي الحسن، من قلم وفي كبار الأئمة والمحققين:

أولا: توصيف الإمامُ الكبير الحافظُ الفقيهُ أبو بكر البيهقيُ رضي اللهُ عنه، قال:

(... إلى أنْ بلغتِ النوبةُ إلى شيخِنا أبي الحسنِ الأشعري، رحمه اللهُ، فلمْ يُحْدِثْ في دينِ الله حَدَثاً، ولمْ يأتِ فيهِ بِبِدْعَةٍ، بَلْ أَخَذَ أقاويلَ الصحابةِ والتابعينَ، ومَنْ بعدَهم مِنَ الأئمةِ في أصولِ الدينِ؛ فَنَصَرَها بزيادةِ شرحٍ وتبيينٍ ـ بخلافِ زَعْم أهلِ الأهواءِ مِنْ أَنَّ بعضَهُ لا يستقيمُ في الآراءِ ـ فكانَ في بيانِهِ تقويةُ ما لم يُدَلُّ عليهِ مِنْ أهلِ السنةِ والجماعةِ، ونُصرةِ أقاويلِ مَنْ مضى مِنَ الأئمةِ كأبي حنيفة وسفيان الثوري مِنْ أهلِ الكوفةِ، والأوزاعيِّ وغيرِهِ مِنْ أهلِ الشام، ومالكٍ والشافعيِّ مِنْ أهلِ الحرمينِ، ومَنْ نَحَا نحوَهما مِنَ الحجازِ، وغيرِها مِنْ سائرِ البلادِ، وكأحمدِ بنِ حنبلِ وغيرِهِ مِنْ أهلِ الحديثِ، والليثِ بنِ سعدٍ وغيرِهِ، وأبي عبدِ الله محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ، وأبي الحسينِ مسلم بنِ الحجاج النيسابوريِّ: إمامي أهلِ الآثارِ وحفاظِ السننِ التي عليها مَدارُ الشرعِ، رضي الله عنهم أجمعينَ.... اهـ)[1].

(١) تبيين كذب المفتري: (ص١٠٣)، وطبقات الشافعية: (٣/ ٣٩٧). (ي).

ثانيا: توصيف الإمام الزبيدي، قال:

(ولْيُعْلَمْ أنَّ كلاً من الإمامين: أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي-رضي الله عنهمـــا[١]، وجزاهما الله عن الإسلام خيراً، لم يُبْدِعَا منْ عندِهما رأياً، ولم يشتقا مذهباً، إنما هما مقرران لمذهب السلف، مناضلان عما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فأحدهما قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي، وما دلت عليه، والثاني قام بنصرة نصوص مذهب أبي حنيفة، ما دلت عليه، وناظر كل منهما ذوي البدع والضلالات حتى انقطعوا وولوْا منهزمين وهذا في الحقيقة أصل الجهاد الحقيقي...الخ)[٢].

ثمَّ قال:

(فإن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه وصاحبيه محمد بن الحسن وأبا يوسف، هم أول من تكلم في أصول الدين، وأتقنوها بقواطع البراهين على رأس المائة الهجرية الأولى، فقد جاء في كتاب التبصرة البغدادية: أول متكلمي أهل السنة من الفقهاء أبو حنيفة، ألف فيه (الفقه الأكبر) و(الرسالة) في نصرة أهل السنة، وقد ناظر فرقة الخوارج والشيعة والقدرية والدهرية، وسافر إليهم لمناظرتهم وإقامة الحجة عليهم نيفاً وعشرين مرة)[٣].

---

(١) الإمام أبو منصور هو إمام معاصر للإمام أبي الحسن، لكنهما لم يلتقيا، وهو حنفي المذهب، وكان ينصر عقيدة أبي حنيفة، شيخ مذهبه في بلاد ما وراء النهر، زنود أن نترجم له هنا، زيادة في الفائدة. (ي).

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، (ص ٢/ ٦). (ي).

(٣) المرجع نفسه. (ي).

ترجمة الإمام الماتريدي

(ت: ٣٣٢ هـ)

نسبه ونسبته:

هو: محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي الأنصاري، نسبة إلى (ماتُرِيد)، وهي محلة بسمرقند في جمهورية أوزباكستان.

ألقابه العلمية:

ولقبه أصحابه بألقاب مختلفة: فهو إمام الهدى، وعلم الهدى، وإمام المتكلمين، ومصحح عقائد المسلمين، ورئيس أهل السنة[١].

تحقيق نسبته إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاريّ:

صرح السمعاني في الأنساب[٢]، والبيَّاضيُّ في (إشارات المرام) بنسبة الماتريدي إلى أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، وهو الصحابي

---

(١) أطلق عليه هذا اللقب لما أنه كان رئيس أهل السنة في بلاد ما وراء النهر، ولما التقى أتباع الإمامين بعدهما بمدة، كانت عقائدهم بالسوية، فصارا أمي أهل السنة، وصار أهل السنة ينتسبون إليهما، وصار يقال لأهل السنة: الأشاعرة والمتريدية لأجل ذلك. (ي).

(٢) الأنساب: (٤٩٨). (ي).

الذي نزل عليه رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة المنورة وأقام عنده سبعة عشر شهرا ومات بقسطنطينية، وبهذا يكون أصل الإمام الماتريدي عربيا.

وذهب الإمام تاج الدين الزبيدي شارح (القاموس المحيط) وشارح (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي، إلى أن تلك النسبة إنما هي نسبة تشريف لِمَا كان من دورٍ بارزٍ للإمام الماتريدي في خدمة هذا الدين والدفاع عن عقائده، ولعل هذا الذي قاله الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين)[1] هو الأقرب إلى الصواب.

مولده ووفاته:

إن تحديد تاريخ ولادة الإمام أبي منصور الماتريدي صعب المنال، إلا أننا يمكننا تحديد وفاة اثنين من شيوخه وهما محمد بن مقاتل الرازي، ونصر بن يحيى البلخي:

- أما الأول، فذكر المحقق الكوثريُّ أنه توفي سنة ٢٤٨هـ.
- وأما الثاني، فقد ذكر اللكنويُّ أنه توفي سنة ٢٦٨هـ.

وبالتالي يمكن القول بأن الإمام الماتريدي ولد قبل وفاة شيخه محمد بن مقاتل بمدة يمكنه معها من طلب العلم عليه ويتلقى منه العقيدة والفقه.

---

(١) الإتحاف: (٢/ ٥). (ي).

وعلى أقل تقدير، فإنه يمكن أن يكون قد ولد في سنة: (٢٣٨ه)، وهذا هو زمان الخليفة العباسي المتوكل: (٢٣٢-٢٤٧)، وهذا زمان متقدم على زمان مولد الإمام أبي الحسن الأشعري بـ (٢٠) سنة تقريبا.

وأما الكلام في تاريخ وفاته فإن من تعرض لذلك ذكر أنه مات بسمرقند سنة: (٣٣٣هـ)، إلا أن الإمام المحقق الكوثريَّ ذكر أنه توفي سنة: (٣٣٢هـ) على ما رواه قطب الدين الحلبي، وقطع بذلك الشيخ أبو الحسن الندوي، ولكن العلامة القرشي صاحب طبقات الحنفية ذكر أنه توفي سنة: (٣٣٣هـ)، بعد وفاة الإمام الأشعري بقليل.

جهاده الدعوي:

نهض بالدين في الأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي كما نهض أبو الحسن الأشعري في الأقاليم المتوسطة، وواجها العقائد الباطلة التي انتشرت في زمانهما كأقوال الفلاسفة، وعقائد المعتزلة والشيعة والمجسمة[1] والروافض والجبرية والمرجئة والخوارج والباطنية غيرهم، وكان من أبرز ما حققاه أن بيَّنا علاقة العقل بالنقل والنقل بالعقل بحيث يكونا متناصرين لا متعارضين.

---

(١) هؤلاء المجسمة هم وأتباعهم من أوقعوا بأتباع الإمام الفتنة، والتي لأجلها نالتهم المحنة، وكتب الإمام القشيري بسببها كتابه الشكاية، هذا الذي نطبعه في هذا الكتاب. (ي).

حال بلاده السياسي:

وأما الدولة الإسلامية الحاكمة في الأقاليم الشرقية من بلاد الإسلام فهي الدولة (السامانية)، وكانت تحت سلطان الخلافة العباسية، ولم تنفصل عنها حتى سنة: (٢٦١هـ)، واستمرت الدولة السامانية في حكم تلك الأقاليم حتى سنة: (٣٨٩هـ)، حيث انتهت على أيدي آل سبكتكتين من جهة، والترك الخاقانية من جهة أخرى، مع أن الدول الثلاثة كلها سُنِّيَّةٌ أشعرية.

وأما موقف (السامنيون) من العلوم، فقد عظموها أيما تعظيم-وذلك بخلاف عصرنا هذا فقد احتقروها أيما احتقار فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وممن وصف حال تلك الأقاليم تحت الحكم الساماني المؤرخ المشهور المقدسي حيث قال: (إنه أجلُّ الأقاليم، وأكثرها أجلة وعلماء، وهو معدن الخير، ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم، وحصنه الأعظم، وملكه خير الملوك، وجنده خير الجنود، فيه يبلغ الفقهاء درجة الملوك اهـ[1]).

ومن مآثر السامانيين خدمتهم لعقيدة أهل السنة، وتقليصهم للمعتزلة، حتى أصبحوا من أشد الناس تمسكا بعقيدة أهل السنة والدفاع عنها.

---

(١) ذكر ذلك ابن خليكان: (٤/ ٢٤٥). (ي).

وقد كانت بيئة الإمام الماتريدي بيئة هادئة من حيث الصراعات السياسية بينما كانت عنيفة من حيث الصراعات الفكرية.

سند الإمام الماتريدي العلميّ:

تمتد سلسلة مشايخ الإمام أبي منصور الماتريدي إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، فقد درس الإمامُ الماتريديُّ على أبي نصر العياضي، وعلى أبي بكر الجوزجانيّ صاحب كتاب (الفرق والتمييز)، وعلى نصير البلخي، وعلى محمد بن مقاتل الرازي قاضي القضاة.

فهؤلاء هم شيوخه:

أما [العياضي] فكان شيخا للماتريدي، وفي نفس الوقت درسا معاً على أبي بكر الجوزجانيّ، الذي تفقه على أبي سليمان الجوزجاني، المتوفى بعد المائتين، وهذا الأخير تفقه على القاضي أبي يوسف: (١٨٢هـ)، ومحمد الحسن الشيباني: (١٨٩هـ) تلميذي أبي حنيفة المباشرين المشهورين.

ترجمة الإمام عبد الكريم القشيري

مؤلف كتاب [**شكاية أهل السنة**] هو أحد أولئكم الأئمة الكبار، العظام، الذين عاشوا المِحنَة، من أولها إلى آخرها، وأبصروا الفتنة بتمامها وكمالها، بل كان فردًا من أفراد موضوعِها، وناله ما نال علماء أهل السنة من امتحانها الشديد، والتي تسببت بوقوع الأئمة الأعلام تحت وطأة الظلم، والتنكيل، والملاحقة، والمتابعة، مما اضطرهم إلى مغادرة البلد، ومفارقة الأهل.

لكن هذه المحنة، كانت سببًا في تطواف الأئمة في البلاد، فأصابوا من خيرات بلاد الله تعالى الواسعة، فنشروا العلم حيث حلُّوا وارتحلوا، ونهل أهل البلاد والبقاع التي حطوا ترحالهم فيها من فيض علومهم ومعارفهم، فنحن نتكلم عن ٤٠٠ إمام من كبار أئمة الدين والهدى، نتكلم عن إمام الحرمين الجويني، والحافظ البيهقي، وعبد الكريم القشيري، وغيرهم من الأساطين.

إن الوقوف عند هذه المحنة، والتبصر بأسبابها، ومعرفة ممهداتها ومقدماتها، وتحليل أحداثها، وتلمس آثارها، والشعور بمعاناة علماء أهل السنة فيها، والنظر في شأن ولاة الأمر، الذين قصروا في نصرة الدين، وبشوا وهشوا لأصحاب الفتن المتزينين بكلمات العلماء وما هم منهم بشيء أبدا،

اللابسين أثواب العلم وهم منه براء، كل ذلك يفيدنا في واقعنا هذا الذي نعيش فيه تجربة مماثلة.

إن مادة الفتنة والمحنة كانت تلك الأكاذيب التي روجها المعتزلة، فكانت (فتنة اعتزالية)، تنضاف إلى تلك (الفتن التيمية) المجسمة، الذين يجسمون الذات الإلهية، والمشبهة، الذين يشبهون صفات الله تعالى بصفات المخلوق، بدعوتهم إلى نسبة ظواهر النصوص المتشابهة الواردة في الذكر الحكيم إلى الله تعالى، فأثبتوا لله الوجه عضوا، واليد عضوًا، والأصابع عضوًا، والساق عضوًا، والقدم عضوًا، والجنب حدًا وطرفًا، ثم إنهم يسردون على العامة نصوص هذه الألفاظ، ويُتْبِعُونَها بعبارات تغطي على باطلهم، وتموه على العامة فَهْمَ حقيقتهم، وخبث طويتهم، وقماءة باطنهم، فتراهم يقولون: نحن نثبت لله ما أثبته لنفسه، وهذه الصفات الأعضاء الواردة في الآي هي نصوص الله وكلامه، ونحن لا نخرج عنها، فلا نؤلها، فمنهج التأويل منهج أشعري فاسد مذموم، ولا نعطلها، فمنهج التعطيل منهج جهمي مرفوض، فأهدروا التفرقة القرآنية بين محكم الكتاب ومتشابهه، وجعلوا كلام الله كلا شيء، فأثبتوا لذات الله وصفاته التجسيم والتشبيه اعتمادا على ظواهر المتشابه، مرورا من على متن مثل هذه العبارات المموهة، ويقولون: هي صفات الله، والكيف مجهول، هذه طريقتهم، وقد اتفق السلف على أن نسبة (الكيف) إلى الله تعالى باطلة، لاستلزامه التجسيم والتشبيه.

ثم، إن هذه الطائفة التي نسبت التجسيمَ والتشبيهَ إلى الله تعالى، يسيرون في ترويج أفكارهم على أكثر من مسلك ومسير في حق الإمام أبي الحسن الأشعري ذاته:

أولا: يقولون: إن (الإمام) كان أولا على مذهب الاعتزال، ثم إنه ترك الاعتزال إلى مذهب التأويل، ثم إنه لما تبين له فساد هذا المذهب تركه، ورجع إلى عقيدة الصحابة، وهي عقيدة التجسيم والتشبيه، على زعمهم الباطل، إلا أن الأشاعرة بعده مشوا على ما كان عليه الإمام وقت رجوعه الأول، وهو منهج التأويل. فالأشاعرة على ذلك مؤولة، ونحن الذين تبعوا الإمام في رجوعه الأخير إلى مذهب الصحابة، والذي هو مذهب التجسيم والتشبيه، فنحن المثبتة، وهذا لعمري خبط في قراءة سيرة الإمام، وتحقيق طريقه، وتحقيق حقيقة الأقوال والمعتقدات، كبير.

ثانيا: يقولون: إن الإمام لما ترك الاعتزال، ألف كتابا ينصر فيه معتقد المجسمة والمشبهة، وهو كتاب الإبانة، إذ فيه يثبت الإمام: الاستواء، والعين، واليد، والوجه، وغيرها، وأن هذا هو منهجنا. وهذا عين الحمق، إذ قد عرفنا من هؤلاء عدم حسن قراءة الكتب، فالإمام يقول في الإبانة هي صفات على اعتبار أنه معاني، لا أعضاء وكيفيات. ولمن يعلم، فهذه هي إحدى طرق أهل السنة في متشابه الصفات.

ثالثا: هم هنا، في هذه الفتنة، قاموا بترويج الأكاذيب عن الإمام نفسه، الذي يدعون في حقه أنه مات على عقيدة الصحابة، فكيف يكون هذا بربكم!

وها نحن نعيش في زماننا هذا غاية الخبط والخلط من هؤلاء التيمية، يروجون الأكاذيب عن الأئمة الأعلام من أعلام المذاهب الأربعة، من الأشاعرة والماتريدية، ومن ذلك:

- ادعاؤهم، أن غالبية أئمة الأشاعرة، كإمام الحرمين، والغزالي، والإمام فخر الدين الرازي، والشهرستاني، كلهم تبرؤوا من معتقد الأشعرية قبل وفاتهم، راجعين إلى عقيدة الصحابة، والتي يعتقد هؤلاء أن عقيدة الصحابة والتابعين هي عقيدة ابن تيمية التي هي عقيدة التجسيم والتشبيه!

- ترويجهم، أن الأشاعرة، إنما يقتفون طريقة الزنديق الجهم ابن صفوان، وابن الراوندي، في منهج التأويل، والحقيقة، أن التأويل منه الباطل الذي هو منهج الجهم، ومنه الحق الذي الذي ذكره الأصوليون من أهل المذاهب الأربعة في مصنفاتهم، ولكن المصيبة والبلية، أن أهل هذا الزمان لا يطالعون الكتب، ولا يحققون الأقوال، ليميزوا الخبيث من الطيب.

- ترويجهم أن الأشاعرة عبدة قبور، فهم مشركون.

- ترويجهم، أن الأشاعرة هم المجسمة، وهي طريقة سياسية، إما أن تنم عن جهل، أو عن خبث، لتبعيد التهمة عن منهجهم العقدي وتقريبها من الأشعرية، فلا تنبه الناس إلى سوء معتقدهم، ولا يتبينون الحق من الباطل في كثير مما يشيع في حياتهم من قضايا ومسائل.
- ترويجهم لتهمة الباطنية، فالأشاعرة باطنيون عندهم، يقولون في أنفسهم، وبين بعضهم البعض، عقيدة أخرى غير العقيدة التي يصرحون بها في الظاهر.

هذه بعض الأكاذيب التي يلقيها التيميون، الوهابية والسلفية، بين الناس عن الأئمة، وهذا ما قاموا به في فتن ومحن كثيرة كانوا سببها، فقد ألقوا بالأكاذيب عن الإمام، حتى أن الولاة والحكام تحركوا لمطاردة الأئمة الأشاعرة في بلاد ما وراء النهر أكثر من مرة، دون تبصر من ولاة الأمر ولا وروية، وقد دون الأئمة في التواريخ تلكم الحوادث، كما دون لنا الإمام القشيري هذه المحنة، التي قام بها الوزير المعتزلي الكنْدريُّ ضد الأئمة الكبار من أئمة أهل السنة، وسنترك الإمام القشيريَّ يحدثنا عنها، وعن الأكاذيب التي روجوا لها حتى حصلت هذه المحنة، ووقعت هذه الفتن، عن مشاهدة وعيان.

وفي حقيقة الحال، فإننا قضية الإمام الأشعري، وما أثاره حوله المعتزلة والمجسمة، وخصوصا التيمية، تحتاج إلى بحث مستقل، وإني على

يقين، بأن دراسة هذه القضية ستكون ذا فائدة في تفهم الكثير من القضايا المتداولة في عصرنا.

وأيضا، فإنها ستكشف عن أثر وعي السلطان بدينه، وإخلاصه له، على الدين نفسه، فإن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، وأيضا، سيكشف عن خطورة قرب بعض أهل البدع، كالوزير الكندري، من السلطان، وإطلاق يده في الدين، والتنكيل بأهله، كما سنقف عليه.

ونود أولا، الابتداء بتقديم ترجمة مقتضبة عن حياته، ونبذة عن الحالة السياسية التي حصلت المحنة فيها، تساعدنا في تجلية بعض حيثياتها.

نسبه ونسبته ولقبه[1]:

هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري، وكنيته أبو القاسم، ولقبه زين الإسلام، وشهرته القشيري.

---

(١) سوف نعتمد في مادة الترجمة على الدراسة النفيسة التي قام بها الدكتور: إبراهيم بسيوني، بعنوان: الإمام القشيري، سيرته، وآثاره، ومذهبه في التصوف، وهو كتاب حافل نفيس، كما أننا سوف نستعين بمقدمة الدكتور محمد الزبيدي، في تحقيقه لكتاب: الإشارة إلى مذهب أهل الحق، لأبي إسحاق الشيرازي، والتي عرض فيها لأحوال الخلافة العباسية في زمان المحنة، دينيا وثقافيا وسياسيا.

أصله:

تجمع التراجم على أن اسم جده عبد الملك، أما ابنُ كثير فينفرد بالقول: أن اسمه عبد المطلب.

والقشيري عربي النسب من ناحية أبية، ومن ناحية أمه، فأبوه من قبيلة قشير العدنانية المتصلة بربيعة بن عامر بن صعصعة بن هوازن، ويذكر ابن حزم: (أن سلالات من قشير اتجهت إلى المغرب نحو الأندلس إبان الفتح الإسلامي زمن الأمويين. واتجه بعضها إلى المشرق، وكان منها ولاة وقواد على خراسان ونيسابور).

مولد ووفاته:

ولد القشيري في عام: (٣٧٦هـ)، ومات في عام: (٤٦٥هـ)، أي أنه عاش نحو تسعين عاماً.

وكان ميلاده في إحدى ضواحي نيسابور، وقضى معظم عمره بهذه المدينة، طالبا وشيخا.

عمره:

ينفرد ابن كثير بالقول: إنه – أي القشيري – مات وعمره سبعون سنة، بينما يجمع بين ابن خلكان وابن العماد وابن عساكر والسبكي على أنه عمر تسعة وثمانين عاما، فقد ولد في ربيع الأول عام: (٣٧٦هـ) الموافق

يوليو: (٩٨٦م) وتوفي في يوم الأحد السادس عشر من ربيع الآخر عام: (٤٦٥هـ).

أهم أساتذته ومشايخه:

وكان أستاذه: **أبو بكر محمد بن بكر الطوسي**، إمام أصحاب الشافعي وفقيههم.

أما أستاذه الثاني: فهو الإمام **ابن فورك**، شيخه في الأصول والكلام.

المحنة الكبرى في حياة القشيري

ذاع صيت القشيري في أرجاء العالم الإسلامي بعامة، وفي المشرق بخاصة، فأثار ذلك حقد كثيرين من فقهاء ومتكلمي المعتزلة في خراسان عليه، فأخذوا يشيعون بين الناس كثيراً من الأقاويل الكاذبة عنه، ولم يكتفوا بذلك، بل سعوا بالواقعية بينه وبين السلطان طغرلبك.

وكان السلطان طغرلبك سلفياً حنفياً، ووزيره أبو نصر الكندري معتزليا رافضيا، خبيث العقيدة، ذا آراء مسرفة في التشبيه، وخلق الأفعال والقدر، وكان متعصبا في ذلك أشد التعصب.

وفي هذا الوقت كان بنيسابور شخصية فذة، لها في أوساط العامة والخاصة نفوذ كبيرة، ومحبة فائقة، ذلكم هو: الأستاذ أبو سهل ابن الموفق، أحد رجال الطبقة الرابعة الشافعية، وكان كثير المال جوادًا، ربما يتصدق على سائل بألف دينار، وكان مرموقًا بالوزارة، وداره مجتمع العلماء وملتقى

الأئمة، ونظرًا لما عُرِفَ عنه من تعلق بالمذهب الأشعري، وذود عنه، وسعيٍّ حثيثٍ لنشرهِ، فقد ألهب ذلك حقد الكندريِّ عليه خاصة، وهو يخشى أن يقع الاختيار عليه، لشغل منصب الوزارة وإبعاده عنها، فمضى الكندريُّ يلفق التهم ضده لدى السلطان، ولم يكتف بذلك، بل لجأ إلى حيلة دنيئة، حين حصل من السلطان على تفويض بسبب المبتدعة على المنابر، ولم يكن في ذلك بأس، ولكن الكندري استغل هذا الحق من أجل الباطل، فأقحم الأشاعرةَ ضمن المبتدعة، وحال بين خطبائهم وبين الوعظ والتدريس، وألحق الأذى بأتباع أبي الحسن شفاءً لحقده، وعاونَه في ذلك لفيفٌ من متكلمي المعتزلة، الذين لا يضنون بشيء على كل ما من شأنه تحطيم المذهب الأشعري وإبادة أتباعه، فنشأت عن ذلك فتنه كبيرة، طار شررُها، حتى شملت خراسان كلها، وامتدت إلى الشام والحجاز والعراق، وتعرض أتباع الأشعري في معظم البلدان للأذى والابتلاء.

وفي وسط هذه الأيام الأليمة، وذات يوم كئيب أسود، جاء الأمر من قبل السلطان طغرلبك بالقبض على القشيري وإمام الحرمين والرئيس الفراتي وأبي سهل بن الموفق، ونفيهم، ومنعهم من المحافل، وحين قرأ الكتاب:

- هجم جماعة من الأوباش على **الأستاذ الفراتي**، وعلى **القشيريِّ**، **وأخذوا يجرونهما في الطرقات**، ويكيلون لها أقذع أنواع التهكم والاستخفاف، حتى وصل الشرطة بهما إلى محبس القهندر.

- أما **أمام الحرمين** فقد هرب من البلاد على طريق كرمان، واتجه إلى الحجاز، وهناك جاورَ، وسُمِيَ كما قلنا بإمامِ الحرمين.
- وأما **أبو سهل بن الموفق**، فقد كان من حسن الحظ غائبًا في بعض النواحي.

خطة الإمام أبي سهل لفضح الكُنْدُرِيّ:

بدأ الإمام أبو سهل بن الموفق، كونه كان بعيداً عن محل الأحداث يُعِدُّ العُدَّةَ – على أثر معرفته بما حدث للأستاذين الكبيرين – لإنقاذهما، فجمع عددًا كبيرًا من رجاله الذين يتقنون فنون الحرب، وقدم من ناحية باخرز، حتى وصل إلى باب البلد، وطالب بإخراج السجين، فلم يجب إلى طلبه، بل قوبل بالتهديد بالقبض عليه، حسب مرسوم السلطان، ولكنه لم يُلْقِ بالًا إلى ذلك، وعزم على دخول البلد إذا أقبل الليل، وما أن عرف الأمير بما حدث، وما أن وصلت إلى مسامعه الصيحات والنقرات العالية من خارج المدينة، حتى انتابه الذعرُ، فأرسل الرسل إلى أبي سهل، ولكن باءت المساعي كلها بالفشل لأن أبا سهل أصر إصرار قاطعا على موقفه، وعلى تخليص القشيري والفراتي، وعند ذلك بدأت قواته الهجوم، وحدثت اشتباكات دامية بين الطرفين، ولكن أصحاب الموفق حملوا على أعدائهم حملة رجل واحد، فأوقعوا الهزيمة بهم وطاردوا فلوهم، ووقع الأمير جريحا، وكاد أن يقع في الأسر، ثم قام جماعة من الناس بالتوسط بين الطرفين، رغبة في حقن الدماء وتسكين الفتنه، وتم الاتفاق على أن يصدر أبو سهل أوامره

إلى رجاله بإيقاف القتال، وعلى أن يخرج أولو الشأن الأستاذين السجينين: الفراتي والقشيري.

فلما تم ذلك، اجتمع أبو سهل بزمرة من علماء الأشاعرة الذين أصيبوا، واضطهدوا، وتم الاتفاق على أن من الخير مهاجرة البلاد، لأن الخصوم لن يناموا، واختاروا بصفة مبدئية ناحية أستوا – بلد القشيري –، لتكون منطلقا بعد ذلك إلى أماكن متفرقة، خارج المشرق كله، ولكن حدث بعد ذلك أن قبض على أبي سهل، وحبس في بعض القلاع، وأخذت أمواله، وبيعت ضياعه، واستمرت ملاحقة أتباعه، أما القشيريُّ فقد غادر المشرق كله، وترك أسرته وداره على أمير المؤمنين القائم بأمر الله.

القشيريُّ في رحاب بغداد، عاصمة الخليفة:

كان الخليفة وقتذاك هو القائمَ بأمرِ الله، وقد وصفه أبو المحاسن، فقال: (كان متديناً ورعاً، وزاهداً عالماً، في وجهه أثر صفار من قيام الليل، وكان يسرد (يتابع) الصوم).

استقبل الخليفةُ الإمام الصوفيَّ الأشعريَّ الفقيه الشافعي: عبدَ الكريم القشيريَّ، رضي الله عنه، أحسنَ استقبال، وأحاطه بالحفاوة، وعقد له المجلس في منازله الخاصة، وكان يحضر دروسه، ويواظب عليها، ويستحسن آراءه، واتجاهاته، ويقدر مواهبه.

وظيفة التدريس في بغداد:

وأتيح للقشيري أن يقوم بالتدريس في مساجد بغداد خلال عام: (٤٤٨هـ) وما بعده، وذلك طبقا لرواية، الخطيب البغدادي الذي كان أحدَ تلاميذه إبانَ فترةِ إقامته في بغداد، ومما يقوله الخطيب في ذلك: (حدثنا، وكتبنا عنه، وكان ثقة).

حجه بيت الله الحرام:

وذهب القشيري إلى بيت الله الحرام حاجًا، وهناك التقى بصديقه إمام الحرمين، وبعددٍ كبير من الأئمة الذين ألحقت بهم الفتنه أذاها، وقد بلغ عددُهم أربعمائة، منهم أبو بكر البيهقيُّ وغيرُه من ذوي الاسم اللامع، والمكانة العلمية المرموقة.

الاجتماع العظيم للنظر في المحنة:

بعد أنِ انتهتْ مراسمُ الحج، اجتمعوا، وتشاوروا فيما بينهم عمَّا يعتزمون القيامَ به في المرحلة التالية، وتضاربت آراؤهم:

- فمنهم من آثر أن يظل بالأماكن المقدسة مجاورًا.
- ومنهم من رأى أن يعود إلى بلد من البلاد الإسلامية التي لم يتسرب إليها أذى المحنة وضررها.
- ومنهم من ظل محيرًا لا يدري إلى أين يتجه، وفي أي مكان يستقر.

واتفقوا على شيء واحد:

أن يتركوا حسم أمرهم لواحدٍ منهم، واتفقوا على أن يكون رأيه مسموعًا ومستجابًا، ولم يكن هذا الذي وقع عليه اختيار هؤلاء الأئمة الكبار سوى عبد الكريم القشيري، فصعد المنبر، وظل يتكلم، وهم يجدون لكلامه واقعا مؤثرًا في عقولِهم وقلوبهم، ثم مرت لحظات صمت، شَخَصَ القشيريُّ فيها إلى السماء ضارعًا، ثم أطرق إلى الأرض لحظات أخرى، والناس من حوله يتابعونه، ويتفرسون وجهه ... ثم قبض على لحيته، وصاح بصوت عالٍ:

(يا أهل خراسان ... بلادَكم ... بلادَكم، إن الكُندريَّ غريمَكم يقطع الأن إربًا إربًا، وإني أشاهدُه الساعةَ وقد تمزقتْ أعضاؤه، ثم أنشد:

عميد الملـك سـاعدتك الليـالي ... على ما شـئت مـن درك المعـالي

فلـم يـك منـك شيء غـير أمـر ... بلعـن المسـلمين عـلى التـوالي

فقابلـك الـبلاء بـما تلاقـي ... فذق مـا تسـتحق مـن الوبـال)

ويقول السبكي: (لقد ضبط التاريخ، فكان ذلك اليوم بعينه وتلك الساعة بعينها، قد أمر السلطان بأن يقطع الكندري إربا إربا، وأن يُرْسَلَ عضوُ منه إلى كل مكان).

وقد قوبل مصرعُ الكندريِّ بموجةِ فرح غامرةٍ، لأنه كما وصفه الباخرزيُّ الأديبُ المعاصرُ له (... لم يزل به الشباب ونزقاته، والشيطان ونزغاته، حتى عصى وشق العصا، وهو من بطر الولاية سكر ملتخ، ويحبو إلى الحب وراءه الفخ، فأنزل من صياصه، وسفع بنواصيه، وأذيق وبال معاصيه، وفي هذا قلت:

لما غدا جيحون طوع مراده	كيف اقتضاه جامدا أو سائلا
واستحسنت فيه ثعالب لبسه	لغرابها فاخترن حتفا عاجلا
شق العصار عصى وظن غضاضة	في أن يبيت مهادنا ومجاملا)

القشيري وسنين المحنة العشرة:

أما القشيري، فإن هذه السنوات العشر، من سنة: (٤٤٥هـ) إلى سنة: (٤٥٥هـ)، وإن كانت أشدَّ سنيِّ حياته آلامًا، حيث قضاها بعيدًا مشردًا عن بيتِهِ ووطنِهِ، إلا أنها كانت حافلةً بالتجارب، وأعانتْه على زيادة خبرته بالحياة والأحياء، وساعدت على توثيق الصلة بينه وبين الأوساط العلمية والأدبية خارج نيسابور وخراسان، ودفعته إلى أن يصنف بضعة كتب في المحنة، لعل أهمها (شكاية أهل السنة)، وسندرسه ضمن كتبه بعد قليل.

القشيري في ظلا السلطان العظيم: ألب أرسلان ووزيره نظام الملك:

وبمجئ السلطان ألب أرسلان خلفا لعمِّه طغرلبك، استقبل (القشيريُّ) عهدًا متميزًا بالاستقرار النفسيِّ، حيث زالتْ كلُّ أسبابِ الغُمَّةِ.

وكان من بشائر العهد الجديد، مجيءُ الوزيرِ الجليلِ الشأنِ: نظام الملك، الذي (أعز أهل السنة وقمع النفاق، وأمر بإسقاط ذكرهم من السب، وأفرد من عداهم باللعن والثلب، واسترجع من خرج منهم إلى وطنه، واستقدمه مكرمًا بعد بعده وطعنه، وبنى لهم المساجد، والمدارس، وعقد لهم الحلق والمجالس، وبنى الجامع المتقي في أيام ولد ذلك السلطان، وكان ذلك تداركا لما سلف في حقهم من الامتحان، فاستقام في وزارته الدينُ بعد اعوجاجه، وصفا عيش أهل السنة بعد تكدره وامتزاجه، ونظر إلى أرباب البدع بعين الاحتقار والمقت، ولم يضر جمع الفرقة المنصورة ما فرط في حقهم في المدة اليسيرة ممن قصدهم بالمساءة ورماهم بالشناعة، لما ظهر بهم من اللعن، إذ كانوا براء عند العقلاء وأهل العلم من الابتداع والذم).

السنوات العشر الأخيرة من حياة القشيري:

أولا: نصرته لمذهب أهل السنة

هكذا، عاد القشيري إلى مدينته الحبيبة نيسابور، وقضى السنوات العشر الأخيرة من عمره (مرفها محترمًا، ومطاعًا معظمًا، وأكثر صفوه في آخر

أيامه التي شاهدناه فيها آخرًا، وازداد من يقرأ عليه كتبه، وتصانيفه، والأحاديث المسموعة له، وما يؤول إلى نضرة المذهب، حتى بلغ المنتمون إليه آلافًا، فأملوا تذكيره وتصانيفه أطرافا).

تكريم السلطان ألب أرسلان له:

وكان في خلال هذه الفترة الأخيرة موضع تكريم السلطان: ألب أرسلان، وموضع تبجيل الوزير نظام الملك، الذي ارتبط به بصلة المذهب والصداقة، والذي تتلمذ عليه وتأثر به.

وفاته:

لبث القشيري في نيسابور طوال السنوات العشر الأخيرة من حياته، لا يكاد يبرحها، إلا في زيارات خاطفة لطوس، ومرو، ونَسَا، وغيرها، من بعض البلدان القريبة، حيث يوجد أصدقاؤه وذووه، وكان حيثما حل موضع التقدير والاحترام، تخف الألوف من الناس لدى سماع نبأ قدومه إلى بلدهم، فتلتف من حوله، لتنهل من علمه.

وتقدمت به السن، ولكن قلبه ظل نابضًا بالمحبة، فإن أهل الأبدان يرون أن كبر السن بصاحبه نقص وضعف، أو كما يعبر الشاعر:

طوى العصران ما نشـراه منـى ... فـأبلى جـد نشـر وطـى

أراني كـل يـوم في انتقـاص ... ولا يبقـى عـلى النقصـان شي

أما أهلُ الحقائقِ فتشيبُ ذوائبُهُم، وتبقى محبتُهم في عنفوانِ شبابِها وطراوةِ جلتها.

وما أن حلت الشهور الأولى من عام: (٤٦٥هـ) = (١٠٧٤م)، حتى كان المرضُ والضعفُ قد انتصرا عليه، ومع ذلك فقد كان يغالبهما ليؤدي صلاته قائما، وكان يصر على ذلك حتى آخر عمره.

وقبيل أن تبزُغ شمس عشر من ربيع الآخر، من ذلك العام، صعدت روحُه إلى بارئها، فوورى جثمانُه إلى جوار شيخه، ورائده، وصهره، أبى على الدقاق، في مقبرة خاصة بأسرتهم ويزورها أهل نيسابور حتى وقتنا الحاضر.

قال العلماء فيه:

وقد أضفتِ الرواياتُ عليه بعد موته نوعا من التكريم:

- فيقول **الحافظ السخاويُّ**: (وإن أحدًا لم يدخل بيته، ولا مس ثيابه، أو كتبه، إلا بعد سنين طويلة من وفاته، تعظيما له).
- ويتفق **ابنُ كثيرٍ مع التاج السبكيِّ** على أنه: (كانت له فرس يركبها، قد أهديت له، فلما توفى لم تأكل علفا، حتى نفقت بعده).
- ورآه أبو ترابٍ المراغيُّ في منامه، فقال له: (أنا في أطيب عيش وأكمل راحة).

نظراتٌ في كتابِ[1]

[شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة]

نعتمدُ في دراستنا لهذا الكتاب على نسختين:

إحداهما: نقلها صديقنا[2]: عثمان جان رحيموف، إمام مسجد مولانا يعقوب الشرخي بجمهورية طاجكستان السوفيتية، عن نسخةٍ خطيةٍ بمكتبةِ المسجدِ، وتفضل مشكورًا، فأهداها إلينا.

والثانية: النصُّ الكاملُ الذي أورده السبكيُّ للشكايةِ، في الجزء الثاني من طبقاته.

وليس بين النسختين فرق كبير.

---

(١) اكتفينا هنا بنقل الفصل البحث الذي عرض فيه الدكتور إبراهيم بسيوني، في كتاب النفيس: الإمام القشيري: سيرته، وآثاره، ومذهبه في التصوف، إلا أني قد أكون قد قدمت أو أخرت بعض الفقرات على بعض، وأيضا، فإني زدت هذه العناوين الجانبية الفرعية إبرازا للمباحث، تسهيلا على القارئ، وتشويقا له. وإنا نسأل الله تعالى أن يكتب لنا في قابل الأيام وقتا كافيا للرجوع إلى هذه الرسالة، لنكتب فيها ما يقدره الله تعالى، ويكون نافعا للأجيال القادمة.

(٢) الكلام هنا للدكتور بسيوني.

قيمة كتاب الشكاية:

ومع أن صفحات الكتاب لا تزيد على (ثلاثَ عشرةَ) صفحةً، إلا أنه عظيمُ الأهميةِ بالنسبةِ للآراءِ القيمةِ، التي دافعَ بها القشيري عن مذهب أبي الحسن الأشعريِّ، وبالنسبة لأن القشيري قد كتبه، إبان المحنة التي ألمت به.

كتب القشيري هذا الكتاب في الشهور المظلمة من سنة: (٤٤٦هـ)، ليقارع بهِ حُجَجَ أهلِ الباطلِ الذين تحيَّفوا على المذهب، والذين أعانهم الوزير، والسلطان، على أن يكيدوا لأنصار الأشعريِّ، فأباحا لهم أن يطاردوهم، ويحسبوهم، ويهزأوا بهم، فأثبت القشيريُّ بهذا الكتاب الصغير الحجم: أنه مفكرٌ حرُ الرأيِّ، ثابتُ العقيدةِ، لا ترهبُه سطوةُ الحكام، ولا كيدُ الكائدين.

مسلكه ومنهجه في الشكاية:

أولا: موضوعيته

سلك القشيريُّ في كتابه مسلكاً موضوعياً، بعيداً عن الانفعال، والإثارة، ولكن القارئ المدقق، يلحظ: أنَّ القشيريَّ ينفس عن نفسه من خلال أسلوبٍ خاصٍّ اختاره بعناية، فعباراتُ الحمدلةِ التي تتألف من فواصل قصيرة موسيقية مؤثرة، تبين عنْ ضغوط نفسية حادة، تؤرق وجدانه، وفكره، وتكشف عن ثقته في قوة الله القادرِ على أن يأخذ للمظلوم من الظالم، مهما كان هذا الظالم سلطانًا ذا صولجان.

يقول القشيريُّ: [الحمد لله المجمل في بلائه، المجزل في عطائه، العدل في قضائه، المكرم لأوليائه، المنتقم من أعدائه، الناصر لدينه، بإيضاح الحق، وتبينه، المبيد للإفك وأهله، المجتث للباطل من أصله، فاضح البدع بلسان العلماء، وكاشف الشبه ببيان الحكماء، وممهل الغواة حيناً غير مهملهم، هذه قصة سميناها شكاية أهل السنة بحاكية ما نالهم من المحنة، تخبر عن بثة مكروب، ونفثة مغلوب، وشرح ملم مؤلم، وذكر مهم موهم، وبيان خطب فادح، ونشر سانح للقلوب جارح، رفعها عبد الكريم ابن هوازن القشيري، إلى العلماء الأجلاء لجميع بلاد الشام ...].

ثانيا: غرضه

ويبين القشيريُّ بعد ذلك غرضَه من الكتاب فيقول: [.... ظهر في بلاد نيسابور من قضايا التقدير في مفتتح سنة: (٤٤٥هـ) من الهجرة، ما دعا أهلَ الدِّينِ إلى شقِّ صدورِ صبرِهم، وكشف قناع ضميرهم، بل ظلت الملة الحنيفية تشكو غللها، وتبدي عويلها، لما حدث من لعن إمام الدين، وسراج ذوي اليقين، محي أهل السنة، وقامع البدعة...... أبى الحسن الأشعري – قدس الله روحه –].

ثالثا: عرضه لمقدمات المحنة وحصول النميمة

يشرح القشيريُّ، بعد ذلك، كيف تطورت الأمور من سيء إلى أسوأ، وكيف أنها بدأت باستغلال دنيء حاقد لبعض الظروف في وقت: [كان

الناس مستريحين إلى عهد السلطان طغرلبك الذي قام بإحياء السنة، والمناضلة عن الملة، حتى لم يبق من أصناف المبتدعة حزباً إلا سل لاستئصالهم سيفا عضبا، وأذاقهم ذلا، وخسفاً، وعفت لآثارهم كسفاً].

ثم يمضي القشيري، يوضح كيف أن السلطان أجاز، أنْ يُلعَنَ كلُّ صاحبِ بدعةٍ، على أعواد المنابر، ولم يكن في هذه الإجازة ضيرٌ، ولكن أهل البدع حين شهدوا أنفسهم يلعنون، أكل الحقد قلوبهم، [فضاقت صدورهم عن مقاساة الألم حين منوا بلعن أنفسهم، على رؤوس الأشهاد، بألسنتهم، فضاقت عليهم الأرض بما رحبت، بانفرادهم بالوقوع في مهواة محنتهم، فسولت لهم أنفسهم أمرا، وظنوا أنهم بنوع تلبيس، وضرب تدليس، يجدون لعسرهم يسراً، فسعوا إلى عالي السلطان المعظم – نصره الله – ، بنوع نميمة، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة، وحكموا عنه مقالات لا يوجد في كتبه منها حرف ... بل كل ذلك تزوير وبهتان].

رابعاً: موقف الأئمة العلماء من النميمة

فماذا فعل القشيري، وأنصار الأشعري، عند ذلك؟

قال: [رفعنا إلى المجلس العالي – زاده الله إشراقاً – هذه الظلامة، وكشفنا قناع هذه الخطة].

فماذا كان جواب ذلك؟

قال: [قيل لنا: نحن إنما نوعز بلعن الأشعري الذي قال هذه المقالات على هذه الصفة، فإذا لم يكن قالها...، فلا عليك...].

قال: [فقلنا: إن الأشعري، الذي قال هذا لم يخلق بعد].

ويشعر القارئ من هذه العبارة بمقدار ما يشعر به القشيريُّ من سخط، ممتزج بالمرارة، وهو يشهد الحقائق تقلب، والباطل يبرر بمغالطات تدعوا إلى آلهتكم، والاشمئزاز.

ولكنَّ القشيريَّ، وأشياعَ المذهبِ، لم يَقْنَطُوا من معاودة التنبيه إلى خطورة الفتنة، وإلى ازدياد عبث الحاقدين المدلسين، فيقول: [ومع: ذلك فقد أخذنا في سبيل الاستعطاف جرياً في دفع السيئة بالتي هي أحسن، فلم تسمع لنا حجة، ولم تقض لنا حاجة فأغضينا على قذى الاحتمال، ولم نشك في أن شمل الدين ينتظم، وشعب الوفاق في الأصول تلتئم، وأن كلنا على قمع المعتزلة وقهر المبتدعة يد واحدة].

ولكن الأمور بعد ذلك كشفت عن تناقض غريب مريب، حين جاء الرد: [نحن لا نستجيز الخوض في هذه المسائل الكلامية، ونمنع عنها الناس، ولا يجوز اللعن عندنا على أهل القبلة، ولا نعلم أنه قال هذه المسائل التي تحكى عنه، ثم قال في خلال كلامه: إن الأشعري مبتدع، وأنه في البدعة يزيد على المعتزلة].

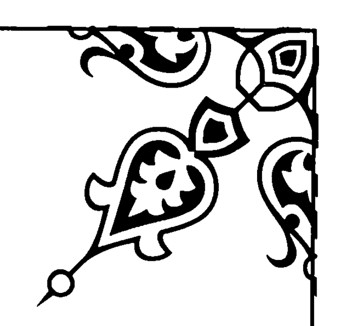
وهنا كانت الطامة الكبرى التي أذهلت القشيريَّ، [وحينئذاك، تحيرْنا ونفيْنا، وسمعْنا غير ما ظننا، وشاهدنا ما لو أخبرنا به ما صدقنا، ورأينا

بالعيان ما لو رأيناه في المنام لقلنا: أضغاث أحلام...، فسبحان الله كيف صرح بأنه لا يعرف مذهب رجل على الحقيقة، وتصح عنده مقالته، ثم... يبدعه من غير تحقيق لمقالته؟ فانصرفنا].

هذه هي الحيثيات التي دعت الإمام الكبير، العالم العابد الزاهد، عبد الكريم القشيري إلى تسطير ما حصل عبر رسالته هذه، ليستفيد منها المسلمون في كل عصر من عصورهم.

والحمد لله رب العالمين

محمد يوسف إدريس



نص الرسالة المعنونة

بـ

شكاية أهل السنة[1]

(١) تسهيلاً على القارئ، فإننا سوف نقوم بعدة وظائف في عرض هذه الرسالة العظيمة، أولها: ضبط النص بالإملاء العربي المعاصر. ثانيا، وضع عناوين فارزة للمواضيع التي ذكرها الإمام القشيري في رسالته. الثالثة، وضع كل موضوع بين معقوفتين وجعلها في مفتتح صفحة خاصة. (ي).



أخبرنا القاضي الرئيس أَبُو المعالي يحيى بْن فضل اللَّهَ فِي كتابه، عن مكي بْن علان، أنَّ الْحَافِظ أَبَا القاسم بنَ عساكر، أتاهُ، قَالَ:

أخبرنا فقيه الحرم أَبُو عَبْد اللَّهَ مُحَمَّد بْن الفضل الفراوي، قَالَ: أخبرنا **[الأستاذ زين الإسلام أَبُو القاسم عَبْد الكريم بْن هوازن القشيري]** سماعاً عليه، فِي سنة ست وأربعين وأربع مائة، قَالَ:

الحمدُ لله المُجْمِلِ فِي بلائه، المجزل فِي عطائه، العدل فِي قضائه، المُكرِم لأوليائه، المنتقم من أعدائه، الناصرِ لدينه، بإيضاح الحقِّ وتبيينه، المبيدِ للإفكِ وأهله، المجتث للباطل من أصله، فاضح البدع بلسان العلماء، وكاشفِ الشُبَهِ ببيانِ الحكماء، ومُمْهِلِ الغُواةِ حينًا، غيرِ مُهْمِلِهِمْ، ومُجازي كلِّ غاد على مقتضى عملهم.

نحمدُه على ما عرَّفنا من توحيده، ونستوقِفُهُ على أداء ما كُلِّفْنَا من رعاية حدوده.

ونستعصمُه من الخطإ والخطل، والزيغ والزلل، فِي القول والعمل.

ونسأله أنْ يُصلي على سيدنا مُحَمَّد المصطفى، وعلى آله مصابيح الدُّجَى، وأصحابِهِ أئمةِ الوَرَى.

هذه قصة سميناها:

شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة

تخبر عن بثةِ مكروبٍ، ونَفْثَةِ مغلوبٍ، وشَرْح ملم مؤلم، وذِكْرِ مُهِمٍّ موهمٍ، وبيانِ خَطْبٍ قادحٍ، وشرٍّ سانحٍ للقلوبِ جارحٍ، رَفَعَها:

عَبْدُ الكريم بْن هوازن القشيري

رحمه اللهَّ

إلى العلماءِ الأعلامِ، لجميعِ بلادِ الإسلامِ.

أما بعد:

فإِنَّ اللهَّ تعالى إذا أراد أمرًا قدَّره، فمَن ذا الذي أمسك ما سيره، أو قدَّم ما أخره، أو عارض حكمَه فغيره، أو غلبه على أمر فقهره، كلا بل هو اللهَّ الواحد القهار، الماجد الجبار.

ومما ظهر ببلاد نيسابور من قضايا (**التقدير**)، فِي مفتتح سنة خمس وأربعين وأربع مائة من الهجرة ما دعا **أهل الدين** إلى شق صدور صبرهم، وكشف قناع ضيرهم، بل ظلت الملة الحنيفية تشكو غليلها، وتبدي عويلها، وتنصب عز الى رحمة اللهَّ على من يستمع شكوها، وتصغي ملائكة السماء حتى تندب شجوها، ذلك ممَّا أحدث من **لعن إمام الدين**، وسراج ذوي اليقين، محيي السنة، وقامع البدعة، وناصر الحق، وناصح الخلق، الزكيِّ الرضي:

أَبِي الحُسَن الأشعريّ

قدس اللهَّ روحه وسقى بالرحمة ضريحه

وهو الذي ذبَّ عن الدينِ بأوضح حُجج، وسَلَكَ فِي قمع المعتزلةِ، وسائرِ أنواع المبتدعةِ أبين منهج، واستنفد عُمُرَهُ فِي النضح عن الحقِّ، فأورثَ المسلمين بعدَ وفاتِهِ كتبَهُ الشاهدةَ بالصدق.

ولقد سمعتُ الأستاذَ الشهيدَ أَبَا عليٍّ الْحَسَن بْن علي الدقاق رحمة اللهَّ عليه، يقول: سمعت أَبَا عليٍّ زاهر بْن أَحْمَد الفقيه رحمة اللهَّ عليه يقولُ: (مات أَبُو الْحَسَن الأشعري رحمه اللهَّ، ورأسُه فِي حجري)، كان يقول: [**متنا، فِي حال نزعه، من داخل حلقه، فأدنيت إليه رأسي، وأصغيت إلى ما كان يقرع سمعي**]، وكان يقول:

[**لعن اللهَّ المعتزلة، موَّهوا ومخرَقوا**].

وإنما كان **أَبُو الْحَسَن الأشعري** رحمه اللهَّ يتكلمُ فِي [**أصولِ الدّينِ**][1] على جهةِ الردِّ على أهلِ الزيغ والبدع، تأديًا بما أوجبَ اللهَّ سبحانه على العلماء من **النصح عن الدين**، وكشف تمويه الملحدينَ والمبتدعين، بما زالوا عن النهج المستقيم.

ولقد سمعت الأستاذ أَبَا عَبْد اللهَّ مُحَمَّد بْن عَبْد اللهَّ بْن عبيد اللهَّ الشيرازي الصوفيّ رحمه اللهَّ، يقول: سمعتُ بعضَ أصحابِ أَبِي عَبْد اللهَّ بْن

---

(١) أي في العقائد، المقسمة إلى ثلاثة ركائز أساسية، هي: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، ومقدماتها، وهي ثلاثة: أحكام النظر (نظرية المعرفة) و(الأبستمولوجيا)، ونظرية التكليف عند أهل السنة، والنظر في الطبيعيات. (ي).

خفيف الشيرازي رحمة اللهَّ عليهم، يقول: سمعت **أَبَا عَبْد اللهَّ بْن خفيف** رحمه اللهَّ، يقول:

(دخلتُ البصرةَ فِي أيام شبابي؛ لأرى **أَبَا الْحَسَن الأشعري** رحمة اللهَّ عليه، لما بلغني خبرُه، فرأيت شيخًا بهيَّ المنظر:

فقلت له: أين منزلُ **أَبِي الْحَسَن الأشعري؟**

فَقَالَ: وما الذي تريد منه؟

فقلت: أُحِبُّ أنَّ ألقاه.

فَقَالَ: ابتكرْ غدًا إلى هذا الموضع.

قَالَ: فابتكرتُ، فلمَّا رأيتُه تبعتُه، فدخل دارَ بعضِ وجوهِ البلدِ، فلمَّا أبصروه أكرموا محلَّه، وكان هناك جمعٌ من العلماء ومجلس نظر، فأقعدوه فِي الصدر، فلمَّا شَرَعَ فِي الكلام دَخَلَ هذا الشيخُ، فأخذ يردُّ عليهِ ويناظرُهُ حتى أفحمه، فقضيتُ العجب من علمه وفصاحته، فقلتُ لبعض مَنْ كان عندي: مَنْ هذا الشيخ؟ فَقَالَ: **أَبُو الْحَسَن الأشعري.**

فلمَّا قاموا تبعتُه، فالتفتَ إليَّ، وَقَالَ: يا فتى، كيف رأيت **(الأشعريَّ)**؟ فخدمتُه، وقلت: يا سيدي، كما هو فِي محله، ولكن مسألة.

قَالَ: قل يا بني.

فقلت: مثلك فِي فضلك وعلو منزلتك، كيف لم تسأل ويسأل غيرك؟

فَقَالَ: أنا لا أتكلم مع هؤلاء ابتداء، ولكن إذا خاضوا فِي ذكر ما لا يجوز فِي دين اللهَّ رددنا عليهم، بحكم ما فرض اللهَّ علينا من الرد على مخالفي الحق).

وعلى هذه الجملةِ سيرةُ السلفِ أصحابِ الحديثِ المتكلمين منهم فِي الردِّ على المخالفين، وأهلِ الشُبَهِ والزيغِ."[1]

---

(١) هذه التعليق والتعقيب من الإمام القشيريّ على هذه الحادثة التي يرويها ويقصها الإمام الكبير عبد الله بن خفيف عن نفسه في حادثة لقائه بالإمام أبي الحسن الأشعري هي الذهب الخالص، هي خلاصة منهج أهل السنة، وهي حقيقة بالتأمل، والتدبر، ثم السير على منوالها ونهجها، وتحتاج وحدها إلى شرح وبيان في مصنف خاص، لأن الناس في هذا الزمان تلبسوا بالغواشي الغريبة التي شوهت فكرهم وتفكيرهم، وأصبحوا بلا منهج ولا طريقة، لا في تعاملهم مع بعضهم، ولا في تعاملهم مع المخالفين لأهل الإسلام بالكلية، وأصبح الناس لا يفرقون بين بدعة وسنة، ولا يفرقون بين دليل وشبهة، وكل طريقتهم كما نراهم: ركض وراء الساسة وصناع اليافطات والشعارات، حتى أهلكت الطاقات، وفسدت العقائد، ولحق الخراب ببلاد المشرق علميا وعمليا، حتى غزتنا المناهج الفلسفية الغربية، وأحكموا قبضتهم على المسلمين، ولا بد من الوقوف مع النفس برهة، ومراجعة العلم والعمل، والدعوة إلى إعادة تأسيس منهج يلتزم به المسلمون للخروج مما هم فيه من حالة رثة جدا، فقد كثرت المناهج المخالفة للدين في جانبها النظري، والتطبيقي، ولهذا فقد أوردت في أول هذه الرسالة ملخصا لرؤية العلمانيين الحداثيين للإسلام، وكيف يفكرون في إعادة تحليله وإعادة تفسيره، بحيث يحاولون إنتاج إسلام متفق وفلسفاتهم الخبيثة ، لعلنا نستفيد منه في تقريب تصور جانبٍ مما يعدُّه الحداثيون للقضاء على الإسلام بالكلية، إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا. (ي).

ولمَّا مَنَّ اللهُ الكريمُ على أهل الإسلام ببركاتِ السلطانِ المعظم المحكم بالقوةِ السماوية فِي رقاب الأمم، الملك الأجل شاهنشاه، يمين خليفة اللهِّ، وغياثِ عبادِ اللهِّ طغرلبك أَبِي طالب مُحَمَّد بْن ميكائيل، أطال اللهُّ عمره، موفقا معصومًا بقاه، وأدام بالتسديد نعماه، **وقام بإحياء السنة، والمناضلة عن الملة، حتى لم يبق من أصناف المبتدعة حزبًا إلا سلَّ لاستئصالهم سيفًا عضبًا، وأذاقهم ذلًا وخسفًا، وعقب لآثارهم نسفًا**، حرجت صدور أهل الزيغ عن تحمل هذه النقم، وضاقَ صدرُهم عن مقاساةِ هذا الألم، ومنوا بلعنِ أنفسهم على رءوس الأشهاد بألسنتهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، بانفرادهم بالوقوع فِي مهواة محنتهم، فسولت لهم أنفسُهم أمرًا وظنوا أنهم بنوع تلبيس، وضرب تدليس، يجدون لعسرهم يسرًا، فَسَعَوْا إلى عالي مجلس السلطان المعظم، أعزَّ اللهُّ نصره، **بنوع نميمة، ونسبوا (الأشعري) إلى [مذاهب ذميمة]، وحَكَوْا عنه [مقالاتٍ]، لا يوجد فِي كتبه منها حرفٌ، ولم ير فِي المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين، من وقت الأوائل إلى زماننا هذا لشيء منها حكاية ولا وصف، بل كل ذلك تصويرٌ بتزويرٍ، وبهتانٍ بغير تقريرٍ**[1]، وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة: **(إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)**.

---

(١) ونحن أيضا، نرى في هذا الزمان، ينسب إلى إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري، رضي الله عنه، الافتراءات والأكاذيب، خصوصا، من التيمية، الوهابية والسلفية، ومن تبعهم ممن تأثر بهم، ووقع في دعايتهم أنهم أتباع السلف، فلبسوا على الناس دينهم، ويسروا

ولما رفعنا إلى المجلس العالي، زادَه اللهُ إشراقًا، **هذه الظلامة**، وكشفنا قناع هذه الخطة، وذكرنا أن هذه [**المقالات**] لم تسمع من ألسنة هذه الزمرة، ولم يوجَدْ شيءٌ فِي كتبهم من هذه الجملة، ولا حُكِيَ فِي الكتب المصنفة فِي [**مقالات المتكلمين**] حرف من هذه الأقاويل، **بل كان الجواب**: إنا إنما نوعز بلعنِ (**الأشعري**)، الذي قَالَ هذه المقالات على هذه الصفة، فإنْ لم يبنوا بها، ولم يقل (**الأشعريُّ**) شيئا منها فلا عليك ما نقول، ولا يلحقكم ضرر مما نصنع، **فقلنا**: (**الأشعريُّ**) الذي هو ما حكيتم، وكان بما ذكرتم، لم يخلقْه اللهُ بعد، وما محل هذا إلا محل مَنْ حَكَى عن أئمةِ السلف، أنهم دانوا بالبدع، ونسبهم إلى الضلال والخطأ، فإذا قيل له فِي ذلك يقول: إنما أقول لفلان الذي قَالَ ما نسبته إليه، ودان بهذا الذي قلت، ومات عليه الكيس لا يرضى منه بذلك، ولا يغضى على ذلك.

ثم أخذنا فِي سبيل الاستعطاف، جريًا فِي دفع السيئة بالتي هي أحسن، فلم تُسْمَعْ لنا حُجةٌ، ولم تُقْضَ لنا حاجةٌ، ولا حيلةَ لنا فِي التوسط بيننا على من بعده فِي مذهب واحد عصره، فأغضَيْنَا على قَذَى الاحتمال، واستنمنا إلى معهود الموافقة فِي [**أصولِ الدين**] بين الفريقين، فحضرْنا

= على ألسنتهم لعن الأئمة والعلماء على المنابر، والناس غفل من العلم الشرعي، ومن فهم عقائد الدين، وتذرعوا في ذلك بربط الناس في القضايا السياسية، فيسهل عليهم إثارة الناس، ولم ينجُ من فتنة الوهابية إلا من قرأ، وأنصف، فأسأل الله تعالى أن يظهر الحق، وأن ينصف علماء الإسلام مما اتهموا به، اللهم آمين. (ي).

مجلسَه، ولم نشك أنا لا ننصرف إلا وشَمْلُ الدِّينِ منتظِمٌ، وشعب الوفاق فِي (**الأصول**) ملتئمٌ، وأن كلنا على قمع المعتزلة وقَهْرِ المبتدعة يدٌ واحدةٌ، وأنْ ليس بين الفريقين فِي (**الأصول**) خلافٌ، فأولُ ما سألناه **بأنْ قلنا: هل صحَّ عنده عن (الأشعريِّ) هذه (المقالات) التي تحكى؟**

فَقَالَ: لا، غَيْرَ أنِّي لا أستجيزُ الخوضَ فِي هذه (**المسائل الكلامية**)[1]، وأمنعُ النَّاسَ عنها وأنهى، ولا يجوزُ اللعنُ عندي على (**أهل القبلة**) لشيءٍ منها، وصرَّح بأنه ليس يُعلم أنه قَالَ هذه (**المسائل**) التي تُحكى عنه، أم لا.

ثم قَالَ فِي خلال كلامه: إنَّ (**الأشعريَّ**) عندي مبتدع، وأنهُ فِي **البدعة** يزيدُ على المعتزلة، فحينَ سمعنا ذلك تحيرْنا ونفينا، وسمعنا غيرَ ما ظننا، وشاهدْنا ما لو أخبرنا به ما صدقنا، ورأينا بالعيانِ ما لو رأيناه فِي المنام لقلنا: أضغاثُ أحلام، فسبحانَ اللهَّ كيف صرَّح بأنه لا يَعرِفُ مذهبَ رجلِ على الحقيقة، وصح عنده مقالتُه ثم يُبدِّعُهُ من غيرِ تَحَقُّقٍ بمقالتِهِ؟ ثم انصرفْنا.

وما نقموا من (**الأشعري**)، إلا أنه قَالَ بـِ:

- إثباتِ **القدرِ** لله، خيرِهِ وشرهِ، ونفعهِ وضُرِّهِ.

---

(١) المسائل الكلامية عبارة عما قلناه سابقاً، إما مقدمات، وهي ثلاثة: أحكام النظر (نظرية المعرفة) و(الأبستمولوجيا)، ونظرية التكليف عند أهل السنة، والنظر في الطبيعيات. وإما أصول الدين، وهي ثلاثة: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات. (ي).

- وإثبات **صفات** الجلال لله، من قدرته، وعلمه، وإرادته، وحياته، وبقائه، وسمعه، وبصره، **وكلامه، ووجهه، ويده**[١].
- وأنَّ القرآنَ -كلامُ اللهَّ- غيرُ مخلوقٍ.
- وأنه تعالى موجودٌ تجوزُ رؤيته.
- وأنَّ إرادتَه نافذةٌ فِي مُراداتهِ.

وما لا يخفى من (**مسائل الأصول**) التي تخالف طريقَهُ طريقَ **المعتزلةِ والمجسمةِ** فيها.

وإذا لم يكن فِي مسألةٍ لأهلِ القبلة غيرُ قولِ المعتزلةِ، وقولُ الأشعري قولٌ زائدٌ، فإذا بطل قولُ (**الأشعريِّ**) فهل يتعين بالصحةِ أقوالُ المعتزلة؟

وإذا بطلَ القولانِ، فهل هذا إلا تصريحٌ بأنَّ الحقَّ مَعَ غيرِ أهلِ القبلة؟

وإذا لعن المعتزلة والأشعري فِي مسألة لا يخرج قول الأمة عن قوليهما، فهل هذا إلا لعن جميع أهل القبلة؟

معاشر المسلمين...

الغياثَ الغياثَ...

---

(١) لا على أن الوجه واليد عضوان، ولكن على أنهما صفتي معنى، فافهم هذا جيدا.

سعوا فِي إبطال الدين، ورأوا هدْمَ قواعدِ المسلمين، وهيهاتَ هيها: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [سورة التوبة آية ٣٢].

وقد وعد اللهُ للحّق نصره وظهوره، وللباطل محقه وثبوره، إلا أنَّ (كُتُبَ الأشعريِّ) فِي الآفاقِ مبثوثةٌ، ومذاهبُه عند أهل السنة من الفريقين معروفةٌ مشهورةٌ، فمَن وَصَفَهُ بالبدعةِ عُلِمَ أنه غيرُ محقٍّ فِي دعواه، وجميعُ أهلِ السنةِ خصمُهُ فيما افتراه.

فأما ما حُكِيَ عنه وعن أصحابهِ، أنهم يقولون[1]:

---

(١) هذا شروع من صاحب الرسالة ومصنفها وواضعها، الإمام عبد الكريم القشيري في ذكر افتراءات المجسمة على إمام أهل السنة، سوف نجعل كل فرية افتروها، وكل كذبة كذبوها في بداية صفحة خاصة بعد وضعنا عنوانا خاصا بها، ومناسبا لها كما قلته سابقا. (ي).

الكذبة الأولى

[محمدٌ ليس نبيًا في قبرِه ولا رسولًا بعد موتهِ]

[**إنَّ محمدا ﷺ ليس بنبيٍّ فِي قبرِه، ولا رسولٍ بعد موتهِ**]، فبهتانٌ عظيمٌ، وكذبٌ محضٌ، لم يَنطِقْ منهم أحدٌ، ولا سُمِعَ فِي مجلس مناظرةً ذلك عنهم، ولا وُجِدَ ذلك فِي كتابٍ لهم، وكيف يصحُّ ذلك، وعندهم مُحَمَّد ﷺ حيٌّ فِي قبره:

- قَالَ اللهَّ تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٦٩] ، فأخبرَ سبحانه بأنَّ الشهداء أحياءٌ عند ربهم، والأنبياءُ أولى بذلك لتقاصر رتبة الشهيد عن درجة النبوة.
- قَالَ اللهَّ تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ ﴾ [سورة النساء آية: ٦٩].

ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بها تدل الشهادة على هذه الجملة، فمن ذلك:

- مَا أخبرنا بِهِ أَبُو سَعِيدٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الأَدِيبُ، حدثنا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَاتِمٍ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الصَّبَّاح الصَّاغَانِيُّ ، حدثنا ابْنُ جَعْشَمٍ ، عن سُفْيَانَ ، عن عَبْدِ اللهَّ بْنِ السَّائِبِ ، عن زَاذَانَ ،

عن ابْنِ مَسْعُودٍ ، عن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ للهَّ تَعَالَى مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ تُبَلِّغُنِي عن أُمَّتِي السَّلام»، وَلا يُبَلَّغُ السَّلامَ إِلا وَيَكُونُ جياً**»[١].

- وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ ، أخبرنا أَبُو الْقَاسِم عَبْدُ اللهَّ بْنُ أَحْمَدَ النَّسَوِيُّ ، حدثنا أَبُو الْعَبَّاسِ الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ الشَّيْبَانِيُّ النَّسَوِيُّ ، حدثنا هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ ، حدثنا الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عن يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمُوتُ فَيُقِيمُ فِي قَبْرِهِ إِلا أَرْبَعِينَ صَبَاحًا حَتَّى تُرَدَّ إِلَيْهِ رُوحُه**»[٢].
- وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللهَّ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ الثَّقَفِيُّ ، أخبرنا أَبُو الْحُسَيْنِ هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْعَطَّارُ ، حدثنا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عِيسَى الْمُقْبِرِيُّ ، حدثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُقْرِئُ ، حدثنا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ ، عن أَبِي صَخْرٍ الْمَدَنِيِّ ، عن يَزِيدَ

---

(١) حديث مرفوع رواه النسائي وأحمد والحاكم.

(٢) رواه ابن حبان، عن أنس، مرفوعًا، وقال: باطل وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال في اللآلئ: هذا الحديث أخرجه الطبراني، وأبو النعيم في الحلية، وله شواهد ترتقي إلى درجة الحسن، ورواه البيهقي أيضًا، في كتاب حياة الأنبياء، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفة عن سعيد بن المسيب من قوله، وقال ابن حجر: (قد أفرد البيهقي جزءًا في حياة الأنبياء، وأورد فيه عدة أحاديث تؤيد هذا، فيراجع منه).

بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلا رَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلام»[١].

دَلَّ الْخَبَرُ عَلَى أَنَّ الْمَيِّتَ لا يَعْلَمُ حَتَّى تُرَدَّ إِلَيْهِ الرُّوحُ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ.

- وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرَانَ ، بِبَغْدَادَ ، أخبرنا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو الْبَخْتَرِيُّ ، حدثنا عِيسَى بْنُ عَبْدِ اللهِ الطَّيَالِسِيُّ ، حدثنا الْعَلاءُ بْنُ عَمْرٍو الْحَنَفِيُّ ، حدثنا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أَبِي صَالِحٍ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا أُبْلِغْت»**[٢].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٥٢٧)، وأبو داود في سننه، في كتاب المناسك، حديث (٢٠٤١)، وصححه النووي في «رياض الصالحين» ١/ ٣١٦)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٥٦٣): «رواته ثقات»، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٥٧٠).

(٢) حديث مرفوع؛ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، والعقيلي وقال: لا أصل له من حديث الأعمش وليس بمحفوظ ولا يتابعه إلا من هو دونه والسبكي في الطبقات والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد وابن عساكر في تاريخه

- وَأَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَقِيهُ ، أخبرنا أَبُو الْقَاسِم عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ النَّسَوِيُّ ، أخبرنا الْحَسَنُ بْنُ سُفْيَانَ ، حدثنا شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، حدثنا أَبُو الْمُعْتَمِرِ ، وَثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ ، عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ**»[1].
- وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنا تَمْتَامٌ مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ ، حدثنا مُوسَى ، حدثنا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عن ثَابِتٍ ، عن أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُتِيتُ وَأَنَا فِي أَهْلِي فَانْطَلَقُوا بِي إِلَى زَمْزَمَ وَشُرِحَ صَدْرِي ، ثُمَّ غُسِلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئَةٍ إِيمَانًا وَحِكْمَا فَحُشِيَ بِهِ صَدْرِي**»، قَالَ أَنَسٌ: وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِينَا أَثَرَهُ، «**فَعَرَجَ بِيَ الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ الْمَلَكَ، قَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَفَتَحَ، فَإِذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ وَلَدٍ وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِيَ الْمَلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ الْمَلَكَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ، فَإِذَا**

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل - باب فضائل موسى .ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٢٠، ١٤٨)

عِيسَى وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلامُ، فَقَالا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ، وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِيَ المُلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ المُلَكَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ، فَإِذَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ، وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِيَ المُلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ المُلَكَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ. قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ، فَإِذَا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلامُ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ، وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِيَ المُلَكُ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ، فَإِذَا هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ، وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِيَ المُلَكُ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ المُلَكَ، فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ، وَمَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ. ثُمَّ عَرَجَ بِيَ المُلَكُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ المُلَكَ، قَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ،

فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ رَسُول»[1] الْخَبَرَ بِطُولِهِ.

فَدَلَّ هَذَا الْخَبَرُ على أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ أَحْيَاءٌ.

- وَلَقَدْ رَوَى الْحَسَنُ بْنُ قُتَيْبَةَ الْمَدَائِنِيُّ، وَعَدَّ ذَلِكَ فِي أَفْرَادِهِ عن الْمُسْلِمِ بْنِ سَعِيدٍ الثَّقَفِيِّ، عن الْحَجَّاجِ بْنِ الأَسْوَدِ، عن ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عن أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ»**[2].

فإذا ثبت أنَّ نبينا ﷺ حيٌّ، فالحيُّ لابد من أن يكون إما عالمًا أو جاهلاً، ولا يجوز أنْ يكون النبي ﷺ جاهلاً، قَالَ تعالى فِي صفته

- ﴿ **مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ** ﴾ [سورة النجم آية: ٢].
- وَقَالَ ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ** ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٥].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبو يعلى (٦ / ١٤٧) وغيره وهو حديث حسن، وله شواهد لمعناه صحيحة .قال ابن حجر: (وقد جمع البيهقي كتابا لطيفا في (حياة الأنبياء في قبورهم) أورد فيه حديث أنس: (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون). أخرجه من طريق يحيى بن أبي كثير، وهو من رجال الصحيح.

فثبت أنه مؤمن، ورتبة النبوة رتبة الشرف وعلو المنزلة، وهو ﷺ، يزدادُ كلَّ يومٍ شرفًا ورتبةً إلى الأبد، فكيف لا يكونُ عارفًا ولا نبيًا؟!

و(**الرسول**): فَعُول، بمعنى المُرسَل، ولا نظيرَ له فِي اللغة.

و(**الإرسال**): كلام اللهِّ، وكلامُه قديمٌ.

وهو قبل أن خُلِقَ كان رسولاً، بإرسال اللهِّ، وفي حالة اليوم وإلى الأبد رسولٌ؛ لبقاءِ كلامِهِ، وقِدَمِ قولِهِ، واستحالةِ البطلانِ على إرسالِهِ الذي هو كلامُه.

ولقد سُئل رسولُ اللهِّ ﷺ، فقيل له: متى كنت نبيًا، فَقَالَ: «**وآدم منجدل فِي طينته**».

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْكَاتِبُ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدٍ الصَّفَّارُ، حدثنا يَعْقُوبُ بْنُ غَيْلانَ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حدثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حدثنا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عن سَعِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ، عن عَبْدِ الأَعْلَى بْنِ هِلالٍ السُّلَمِيِّ، عن الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ: «**إِنِّي لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ**»[1].

(١) أخرجه الأمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح لغيره.

وَأَخْبَرَنَا الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، حدثنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدٍ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ غَالِبٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حدثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَهْمَانَ، عن بُدَيْلِ بْنِ مَيْسَرَةَ، وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عن مَيْسَرَةِ الْفَجْرِ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: مَتَّى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: «**وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»[1].

فإن قيل: فمن أين وقعت هذه المسألة، إن لم يكن لها أصل؟

قيل: إن بعض (**الكرامية**)، ملأ اللهُ قبره نارًا ، وظني أن اللهَ قد فعل، ألزم بعض أصحابنا، وَقَالَ: إذا كان عندكم الميت فِي حال موته لا يحس ولا يعلم، فيجب أن يكون النبي ﷺ في قبره غير مؤمن؛ لأن الإيمان عندكم المعرفة والتصديق، والموت ينافي ذلك، فإذا لم يكن له علم وتصديق، لا يكون له إيمان، ومن لا يكون مؤمنا لا يكون نبيا؛ ولأن عندهم الإيمان الإقرار الفرد، وذلك قولهم، لما قَالَ اللهُ لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ﴾[سورة

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٣٤-٨٣٣) وأحمد في المسند (٢٠٥٩٦) وابن أبي عاصم في السنة (٤١٠) والفريابي في القدر (١٧) والآجري في الشريعة (٩٤٥-٩٤٤-٩٤٣) كلهم من طريق بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجرِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢٠٩) وقال (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وَشَاهِدُهُ حَدِيثُ الْأَوْزَاعِيِّ الَّذِي) ووافقه الذهبي. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٨٤٨) وقال: (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ).

الأعراف آية: ١٧٢]، وزعموا أن قولهم: [بَلَى باق] ، والإيمان كذلك، وفي حال الموت عندهم الميت يحس ويعلم ، وقوله : بَلَى باق عينه.

وهذه المذاهب لهم، مع ركاكتها وفسادها، غير ملزمة لنا ما ألزمونا؛ لأن عندنا رسول اللهَّ ﷺ حي يحس ويعلم، وتعرض عليه أعمال الأمة، ويبلغ الصلاة والسلام على ما بينا، ثم الأشعري لا يختص بقوله: إن الميت لا يحس ولا يعلم ، فإن أحدا من المعتزلة وغيرهم من المتكلمين سوى الكرامية، لم يقل: إن الميت يحس ويعلم ، وغير الكرامية لم يقل أحد: إن الإيمان هو الإقرار المجرد، وهو قولهم: بَلَى، ولم يقل أحد سواهم: إن ذلك الإقرار الذي قو: بَلَى موجود، وإن قَالَ كثير من الناس ببقاء بعض الأعراض.

وجواب الأشعري كجواب جميع الناس عن هذه المسألة، مع ركاكتها وفساد قواعدها.

واعلموا – رحمكم اللهَّ – أن ما يلزمه الخصم بدعواه، فيقول: هذا على أصلكم، ومقتضى علتكم يلزمكم، فلا يجوز أن ينسب ذلك إلى صاحب المذهب ، فيقال: هذا مذهب فلان، وما عروض هذا إلا عروض من قَالَ: إن مذهب الحنفي: أن الوضوء بالخمر جائز فِي السفر؛ لأنه إذا جوز التوضي بالنبيذ على وصف يلزمه أن يجوز فِي الخمر؛ لاشتراكهما فِي العلة، وهو أن كل واحد منهما مسكر، فمثل هذا الإلزام لا يصح أن ينسب به الحنفي، أن يقول: يجوز التوضي فِي السفر بالخمر عند عدم الماء.

كذلك إذا قالوا: إن مذهب الأشعري أنَّ النبي ﷺ ليس بنبي فِي قبره؛ لأنه يلزمه حين قَالَ: إنَّ الميت لا يحس ولا يعلم، أن يقول: إنه ليس بعالم، ولا نبي.

ومن قَالَ هذا كان **كاذبا**، وكان قوله **بهتانا**، فليعلم ذلك يزل الإيهام، إن شاء اللهَّ تعالى.

الكذبة الثانية

[نفي المجازاة على الطاعة والمعصية والإيمان والكفر]

وأما ما قالوه إن مذهبه أن يقول: [**إن اللهَّ لا يجازي المطيعين على إيمانهم وطاعاتهم، ولا يعذب الكفار والعصاة على كفرهم ومعاصيهم**]، فذلك أيضا بهتان وتقول، وكيف يصحُّ من قولِ أحدٍ يُقِرُّ بالقرآن؟ والله تعالى يقول فِي محكم كتابه:

- ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة السجدة آية :١٧].
- ويقول: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ [سورة سبأ آية: ١٧].
- ويقول: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا﴾[سورة النبأ آية: ٣٦].
- ويقول: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ﴾ [سورة القمر آية: ٣٥].

وغير ذلك من الآيات، وليس الخلاف فِي ذلك، وإنما الخلاف فِي أن المعتزلة ومن سلك سبيلهم فِي (**التعديل والتجوير**) زعموا أنه يجب على اللهَّ تعالى أن يثيب المطيعين، ويجب عليه أن يعذب العاصين، فطاعة المطيعين علة فِي استحقاقهم ثوابه، وزلات العاصين علة فِي استحقاقهم عقابه. وقال **أهل السنة من الأشعرية**، ومن جميع من خالف المعتزلة: إن اللهَّ سبحانه لا يجب عليه شيء، وقالوا: إن الخلق خلقه، والملك ملكه، والحكم حكمه، فله أن يتصرف فِي العباد بما يشاء، وله أن يوصل الألم إلى من يشاء، ويوصل اللذة إلى من يشاء، وأنه يثيب المؤمنين، ووعد لهم الجنة، وقوله صدق، فلا

محالة أنه يجازيهم ويثيبهم، ولو لم يعدهم عن طاعاتهم الثواب، لم يكن يجب للعبد عليه شيء، فإنه توعد العصاة بالعقوبة على معاصيهم على ذلك؛ لأن وعيده حق، ولو لم يعذبهم ولم يتوعدهم، لكان ذلك جائزًا، إلا أنَّ اللهَّ سبحانه قَالَ فِي صفة نفسه: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[سورة هود آية: ١٠٧]، فالمطيعون لا محالة لهم جزاء الطاعات، ولكن بفضل اللهَّ عليهم، لا باستحقاقهم، والعاصون لا محالة لهم على معاصيهم ما توعدهم به من العقاب، لكن لحكمة، لا باستحقاقهم، فالطاعات والمعاصي علامات للثواب والعقاب، لا علل ولا موجبات، ومن صرح فِي مخالفة هذا فقد أقر بالاعتزال والقدر، ولقد أخبر اللهَّ سبحانه عن أهل الجنة أنهم يقولون:

- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر آية :٣٥].
- وَقَالَ تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾[سورة النور آية: ٢١].
- وَقَالَ تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[سورة يونس آية ٩٩].
- **وَقَالَ تعالى:** ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[سورة الأنعام آية ١٢٥].
- أخبرنا أَبُو نُعَيْم عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الإِسْفَرَايِينِيُّ، أخبرنا أَبُو عَوَانَةَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ ، حدثنا سَعِيدُ بْنُ مَسْعُودٍ الْمَرْوَزِيُّ السُّلَمِيُّ ، أخبرنا النَّضْرُ ، عن سُهَيْلٍ ، أخبرنا ابْنُ عَوْنٍ ،

عن مُحَمَّدٍ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ**»، **قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَمَغْفِرَةٍ»**[١]

- أخبرنا الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ فُورَك، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْه، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرٍ أَخْبَرَهُمْ، حدثنا يُونُسُ بْنُ حَبِيب، حدثنا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ، حدثنا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، عن سَعِيدٍ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ يُنْجِيهِ عَمَلُهُ**»، **قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ»**[٢]

وهذه المسألة من شعب (**مسألة القَدَرِ**)، وأهلُ الحقِّ لا يقولون بوجوبِ شيءٍ على اللهِ، ويقولون: لله أنْ يحكم على عباده بما يريد، ويختصُّ من يشاء بالرحمة، ويخصُّ من يشاء بالألم والشدة، ولو لم يعد أهل الطاعات بالثواب لم يتوجه لأحدٍ عليهِ حقٌّ، ولو ابتدأ الخلقَ بالعذابِ لم يلْحقه فيه لوم. ولقد روى ابنُ الديلميِّ، رحمه اللهُ، قَالَ: أتيت أُبَيّ بْن كعب رضي اللهُ عنه، فقلت: إنه وقع فِي نفسي شيءٌ من القَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بشيءٍ لعلَّ اللهَ أنْ يُذْهِبَ مِنْ قلبي، فَقَالَ: لو أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عذبَّ أهلَ سمواتهِ وأهلَّ أرضهِ عذبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحمهم كانت رحمتُه خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده

(٢) أخرجه مسلم والبخاري بلفظ ليس أحد منكم ينجيه عمله.

مثل أحد ذهبًا ما قبله اللهَّ عز وجل منك، حتى تُؤمِنَ بالقَدَرِ، وتعلم أنَّ ما أخطأك لم يكنْ ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، ولو مت على غير هذا دخلت النار.

ثم لقيت عَبْد اللهَّ بْن مسعود، فَقَالَ مثل ذلك.

ثم لقيت حذيفة بْن اليمان، فَقَالَ مثل ذلك.

ثم لقيت زيد بْن ثابت، فَحَدَّثَنِي عن النبيِّ ﷺ بمثلِ ذلك[١].

- أخبرنا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الأَهْوَازِيُّ، أخبرنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدٍ الصَّفَّارُ ، حدثنا بِشْرُ بْنُ مُوسَى، حدثنا حَجَّاجٌ، حدثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ الْحِمْصِيُّ، حدثنا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدِ اللهَّ مَوْلَى غُفْرَةَ، عن رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَار، عن حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: «يَكُونُ قَوْمٌ يَقُولُونَ: لا قَدَرَ، أُولَئِكَ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ فَإِنْ مَرِضُوا فَلا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلا تَشْهَدُوهُمْ، فَإِنَّهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهَّ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِهِ»[٢].

---

(١) رواه الحاكم في صحيحه

(٢) رواه سفيان الثوري في جامعه، والطيالسي في مسنده (ص/٥٨ رقم ٤٣٤)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٤٠٦)، وأبو داود في سننه (٤/ ٢٢٢ رقم ٤٦٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٤ رقم ٣٢٩)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٣٣ رقم ٩٥٩)، والمحاملي في الأمالي (ص/ ١٠٢ رقم ٦٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٩٨ رقم ١٥١٣)، وابن بشران في الأمالي (رقم ٣٩٢)، والقشيري في رسالته شكاية أهل السنة -

- وَأَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ، أخبرنا أَحْمَدُ بْنُ عَبْد، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ هِشَام، حدثنا مُحْرِزُ بْنُ عَوْنٍ، عن حَسَّانِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكِرْمَانِيِّ، عن نَصْرٍ، عن قَتَادَةَ، عن أَبِي حَسَّانٍ الأَعْرَج، عن نَاجِيَةَ بْنِ كَعْبٍ، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَلَقَ اللهُ يَحْيَى فِي بَطْنِ أُمِّهِ مُؤْمِنًا، وَخَلَقَ اللهُ فِرْعَوْنَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ كَافِرًا»[1].

فالحمد لله الذي أوضح سبيل الدين بحججه، وهدى للحق سالكي نهجه، وخذل أهل البدع حتى فضحوا أنفسهم بنصرة الباطل، وظهر لجميع أهل السنة ما كان ملتبسا عليهم من أحوالهم الخافية.

= كما في الطبقات الكبرى للسبكي (٣/ ٤١٦) -، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤١ رقم ١١٥٥)، والبيهقي في سنن البيهقي الكبرى (١٠/ ٢٠٣)، وفي القضاء والقدر (ص/ ٢٨٣ رقم ٤١٣) عن عمر بن محمد عن عمر مولىٰ غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضي الله عنه به مرفوعًا .وإسناده ضعيف؛ عمر مولى غفرة ضعيف، وقد اضطرب في هذا الحديث، والراوي عن حذيفة رضي الله عنه مجهول

(١) حديث حسن. قال المناوي في الفيض (٣ / ٤٤٩) وكذا الديلمي عن ابن مسعود قال الهيثمي: إسناده جيد.

الكذبة الثالثة

[نفي أن يكون موسى عليه السلام قد سمع كلام الله تعالى]

وأما ما يقولون عن الأشعريِّ [**أنَّ مذهبه أنَّ موسى عليه السلام لم يسمع كلامَ اللهَّ عز وجل**]، فسبحان اللهَّ، كيف لا يستحيي من يأتي بمثل هذا البهتان، الذي يشهد بتكذيبه كل مخالف وموافق؟!

إن حدَّ ما يجوز أنْ يُسمع عند الأشعريِّ هو الموجودُ، وكلامُ اللهَّ عنده قديمٌ، فكيف يقولُ: لا يجوز أنْ يُسمع كلامُ اللهَّ، وقد قَالَ اللهَّ سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[سورة النساء آية : ١٦٤].

ومذهبه أن اللهَّ تعالى أفرد موسى فِي وقته، بأن أسمعه كلام نفسه بغير واسطة، ولا على لسان رسول، وإنما لا يصح هذا على (**أصول القدرية**) الذين يقولون: إنَّ كلام اللهَّ مخلوق فِي الشجرة، وموسى عليه السلام يسمع كلامه، وَقَالَ **الأشعريُّ**: لو كان كلامُه سبحانه فِي الشجرة، لكان المتكلمُ بذلك الكلامِ الشجرةَ.

فـ [**القدرية**] قالوا: إنَّ موسى عليه السلام سمع كلامًا من الشجرة، فلزمهم أنْ يقولوا: إنه سمع كلام الشجرة، لا كلام اللهَّ، وهذا كما قيل فِي المثل: رمتني بدائها وانسلتْ، ومن نسب إلى أحد قولاً لم يسمعه يقوله، ولا أحدٌ حكى أنه سمعه يقول ذلك، ولا وُجِدَ ذلك فِي كتبه، ولم يقلْه أحدٌ من أصحابه، ولم يُناظرْ عليه أحدٌ ممن ينتحل مذهبه، ولا وُجِدَ فِي كتبِ

(المقالاتِ) لموافق ولا مخالفٍ أنَّ ذلك مذهبُه، علم أنه بهتان وكذبٌ، وقد قَالَ اللهَّ تعالى فِي قصة الإفك: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[سورة النور آية : ١٦] ، وهذه مضاهية لتلك، ونعوذ بالله من رقة الدين، وقلة الحياء.

الكذبة الرابعة

[الطعنُ عليه بأن القرآن الذي أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ ليس في المصحف]

وأما ما قالوا: [**إنَّ مذهبَه أنَّ القرآن لم يكن بين الدفتين، وليس القرآنُ فِي المصحف عنده**]، فهذا أيضًا تشنيعٌ فظيعٌ، وتلبيس على العوام.

إنَّ (**الأشعريَّ**) وكلُّ مسلمٍ غيرِ مبتدعٍ، يقول: إنَّ القرآنَ كلامُ اللهِّ، وهو على الحقيقة مكتوبٌ فِي المصاحف، لا على المجاز، ومن قَالَ: إنَّ القرآن ليس فِي المصاحف، على هذا الإطلاق فهو مخطئ، بل القرآنُ مكتوبٌ فِي المصحف على الحقيقة، والقرآنُ كلامُ اللهِّ، وهو قديمٌ غيرُ مخلوق، ولم يزل القديم سبحانه به متكلمًا، ولا يزالُ به قائمًا، ولا يجوز الانفصال على القرآن عن ذات اللهِّ، ولا الحلول فِي المحال، وكون الكلام مكتوبًا على الحقيقة فِي الكتاب لا يقتضي حلوله فيه، ولا انفصاله عن ذات المتكلم، قَالَ اللهُّ سبحانه: ﴿ **ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ** ﴾[سورة الأعراف آية: ١٥٧]، فالنبي ﷺ على الحِقيقة مكتوبٌ فِي التوراة والإنجيل، وكذلك القرآنُ على الحقيقة مكتوبٌ فِي المصاحفِ محفوظٌ

فِي قلوب المؤمنين، مقروءٌ متلوٌّ على الحقيقة، بألسنة القارئين من المسلمين، كما أنَّ اللهَّ تعالى على الحقيقة لا على المجاز معبود فِي مساجدنا، معلومٌ فِي قلوبنا، مذكورٌ بألسنتنا، وهذا واضحٌ بحمد اللهَّ، ومن زاغ عن هذه الطريقة فهو قدريٌّ معتزليٌّ، يقول بخلق القرآن، وأنه حالٌّ فِي المصحف، نظير ما قالوا: إنه لما أسمع موسى عليه السلام كلامَه خَلَقَ كلامَه فِي الشجرة، وهذا من فضائح المعتزلة، التي لا يخفى فسادُها على مُحَصِّلٍ، وذلك أن عند الجبائي الذي هو رئيس القدرية البصرية أنَّ القرآنَ يحُلُّ فِي جميع المصاحف، ولا يزداد بزيادة المصاحف، ولا ينقص بنقصانها، وهو حالٌّ فِي حالة واحدة، فِي ألف ألف مصحف، وإذا زيد فِي المصاحف يحصل فيها، وإذا نقصت المصاحف وبطلت لم يبطل الكلام، ولم ينقص، ولئن لم يكن هذا قولًا متناقضًا فاسدًا، فلا محال فِي الدنيا.

وأما (**البغداديون**) من المعتزلة، فعندهم [**كلام اللهَّ**] عز وجل كان أعراضًا حين خلقه، و(القرآنُ) عندهم كان أعراضًا، ولا يجوزُ عندهم البقاءُ على الأعراض، فعلى مذهبهم ليس لله إلا كلامٌ موجودٌ على الحقيقة، و(القرآن) الذي أنزله اللهَّ عز وجل على مُحَمَّد ﷺ ليس بباق اليوم، ولا

موجود، ومن ينتحل مثل هذه البدع، ثم يرمي خصمه بما هو بريء منه، فالله سبحانه حسيبه، وجميع أهل التحصيل شهداء على بهته.

الكذبة الخامسة

[تكفير العوام]

وأما ما قالوا [**إن الأشعري يقول بتكفير العوام**]، فهو أيضا كذب وزور، وقصد من يتعنت بذلك تحريش الجهلة، والذين لا تحصيل لهم عليه، كعادة من لا تحصيل له، فِي قوله بما لا أصل له، وهذا أيضا من تلبيسات (الكرامية) على العوام، ومن لا تحصيل له، فإنهم يقولون: الإيمان هو الإقرار المجرد، ومن لا يقول: الإيمان هو الإقرار، انسد عليه طريق التمييز بين المؤمن وبين الكافر؛ لأنا إنما نفرق بينهما بهذا الإقرار، وغير (الكرامية) من غير أهل القبلة لا يجوز هذا السؤال، وجميع أهل القبلة سوى (الكرامية) فِي الجواب عن هذا السؤال متساوون.

وذلك أن الإيمان عند (**أصحاب الحديث**[1]): جميع الطاعات فرضها ونفلها والانتهاء عن جميع ما نهى اللهّ عنه تحريما وتنزيها.

---

(١) التحقيق الذي يجب اعتماده أن التمايز الذي تنشأ عنه الفرق الإسلامية هو التمايز القائم على العقائد التي يعتقدها مجموعة من الناس، ولما كان الاسم الذي غلب على الصحابة وفيروا به هو اسم الجماعة، وكان بعض أهل الأهواء قد طعن في السنة، فقد صار اسم (أهل السنة والجماعة) هو اللقب الذي عُرف به أهل الحق. ولما ظهرت الأهواء نشط أهل الإسلام الذي قتلوا امتداداً لجيل الصحابة، بالروبع المخالفين، فلم يكن الخوض في العقيدة لذوي اختصاص، ولذلك نجد خوضنا في العقائد من الفقهاء، والمفسرين،

=

والمحدثين، وغيرهم، وظل الأمر كذلك حتى قام ثلة من الأوائل الذين برعوا في تنظيم التفكير العقدي منهم عبد الله بن سعيد من كلام وأبو العباس الغلاني والحارث المحاسبي، وجمعوا لأول مرة الاستدلال العقلي إلى جانب الاستدلال النقلي، واستفادوا من جهود من سبقهم خصوصاً ا صدر عن أبي حنيفة والشافعي ومالك، وأما أحمد بن حنبل فكان من طبقتهم، ولكن ظهروهم لم يلزم منه عدم وجود اجتهادات في مختلف قضايا الاعتقاد، بل نجد لبعض المحدثين أو بعض المفسرين أو الفقهاء أقوالاً في قضايا الاعتقاد، تنسب اليهم باعتبار ما عُرفوا به من الاختصاص بفرع من علوم الشريعة، وبقيت كتب العلماء تنقل عنهم تلك الأقوال وينسبونها إليهم، وظل الحال مع ذلك: حتى ظهر إماما أهل السنة: أبو الحسن الأسفري وأبو منصور الماتريدي، وقد انطوت تحت رايتهما ومدرستها جميع تيارات أهل السنة، كما اندرجت في مدرستها جميع الاجتهادات السابقة، وصارت جماعة أهل الحق تعرف بالأشعرية والماتريدية، فشملت الأشعرية المذاهب الثلاثة: المالكية والشافعية والحنبلية، كما شملت الماتريدية الحنفية. وبقي أن نقول: أن بعض الحنفية والشافعية والحنابلة وإن كانوا منتسبين في الفقع إلى المذاهب الأربعة إلا أنهم في العقائد مالوا إلى غير أهل السنة ممن اعتزال وتجسيم، وقد استغل ابن تيمية هذا التداخل وادعى ابن عقيدته القائمة مع التجسيم هي عقيدة احمد بن حنبل، والحقيقة أنها عقيد بعض المنتسبين إلى مدرسة أحمد الفقهية وهم في حقيقة المجال مجسمة، فقام أهل عصره بالرد على هذه الفرية كما فعل تقي الدين الحضي في كتابه (دفع شبه من شبه وثمرو ونسب ذلك إلى السيد الجليل الامام أحمد) وكذا فإنه من باب التداخل بين الانتساب الفقعي والعقيدي، فإن بعض الصوفية الفلاسفة المخالفين بعقيدة أهل الحق وهم في الفقه مع مذهب من مذاهب الفقهاء الأربعة، يحاول البعض نسبة أقوالهم إلى مدرسة أهل السنة، وهو خطأ كبير، فإن الانتساب الفقهي إلى المذاهب ليس كافيا في تعداد صاحب هذا الانتساب إلى أهل الحق إن كان مخالفاً لهم في الاعتقاد

وعند أَبِي الْحَسَن الأشعريِّ رحمه اللهّ الإيمان: هو التصديق.

وهذا مذهب أَبِي حنيفة رضي اللهّ عنه، والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون اللهّ تعالى فِي إخباره، وأنهم عارفون بالله مستدلون عليه بآياته، فأما ما تنطوي عليه العقائد، ويستكنُّ فِي القلوب من اليقين والشك، فالله تعالى أعلم به، وليس لأحد على ما فِي قلب أحد اطلاع، فنحن نحكم لجميع عوام المسلمين بأنهم مؤمنون مسلمون فِي الظاهر، ونحسن الظن بهم، ونعتقد أن لهم نظرا واستدلالا فِي أفعال اللهّ، وأنهم يعرفونه سبحانه، والله أعلم بما فِي قلوبهم، وليس كل ما يحكم به على الناس بأحكام المسلمين هو عين الإيمان، فإن الدار إذا كانت دار إسلام، ووجدنا شخصا ليس معه غيار الكفار، فإنا نأكل ذبيحته ونصلي خلفه، ولو وجدناه ميتا لغسلناه، ونصلي عليه، وندفنه فِي مقابر المسلمين، ونعقد معه عقد المصاهرة، وإن لم نسمع منه الإقرار، وكونه بزي المسلمين بالاتفاق ليس بإيمان، وبذلك نجري عليه أحكام المؤمنين، وكذلك بالإقرار نجري عليه أحكام المؤمنين، وإن كان الإيمان غير الإقرار.

=

كما هو الحال عند ابن عربي، وكما هو الحال ابن رشد الفيلسوف، فهو فيلسوف وان كان مالكياً فقها، وكذا الحال عند ابن تيمية فهو ينسب نفسه إلى الفقه الحنبلي وان كان هو مع عقيدة التجسيم.

فإن قيل: فقد قَالَ اللهَّ تعالى:﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ﴾[سورة البقرة آية ٢٢١] ، وإذا أتى بالإقرار حكمنا بإيمانه، فعلم أن الإقرار هو الإيمان.

قيل: هذا كسؤال (**الكرامية**)، ولا يختص الأشعري بجوابه، فجميع من لا يقول إن الإيمان هو الإقرار المجرد مشتركون فِي الجواب عن هذا.

وجواب الجمهور: أنا بإقراره نحكم فِي الظاهر بإيمانه، والله أعلم بحقيقة حاله، فِي صدقه وكذبه، وهذا كقوله تعال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾[سورة البقرة آية: ٢٢٢] ، **ثم إذا قالت**: قد طهرت، جاز قربانها، وإن جاء أن يكون حالها فِي المغيب بخلاف ما قالت، فكذلك هذا.

فإن قالوا: فالأشعري يقول: إن العوام إذا لم يعلموا [**علم الكلام**]، فهم أصحاب التقليد، فليسوا بمؤمنين.

قيل: هذا أيضا تلبيس، ونقول: إن الأشعري لا يشترط فِي صحة الإيمان ما قالوا من [**علم الكلام**]، بل هو وجميع أهل التحصيل، من أهل القبلة يقولون: يجب على المكلف أن يعرف الصانع المعبود بدلائله التي نصبها على توحيده، واستحقاق نعوت الربوبية، وليس المقصود استعمال ألفاظ المتكلمين، من الجوهر والعرض، وإنما المقصود حصول النظر والاستدلال المؤدي إلى معرفة اللهَّ عز وجل، وإنما استعمل المتكلمون هذه الألفاظ على

سبيل التقريب والتسهيل على المتعلمين، والسلف الصالح وإن لم يستعملوا هذه الألفاظ، لم يكن فِي معارفهم خلل، والخلف الذين استعملوا هذه الألفاظ، لم يكن ذلك منهم لطريق الحق مباينة، ولا فِي الدين بدعة، كما أن المتأخرين من الفقهاء عن زمان الصحابة والتابعين استعملوا ألفاظ الفقهاء، من لفظ العلة، والمعلول، والقياس، وغيره، ثم لم يكن استعمالهم بذلك بدعة، ولا خلو السلف عن ذلك كان لهم نقصًا، وكذلك شأن النحويين والتصريفيين، ونقلة الأخبار فِي ألفاظ تختص كل فرقة منهم بها.

الشبهة التي يدعيها المجسمة

قالوا: علم الكلام بدعة؟!

حكم الاشتغال بعلم الكلام[1]:

فإن قالوا: [إن الاشتغال بـ (علم الكلام) بدعة، ومخالفة لطريق السلف].

قيل: لا يختص بهذا السؤال الأشعري دون غيره من [**متكلمي أهل القبلة**]، ثم الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية[2]، الذين لا

---

(١) هذا العنوان من زيادتنا.

(٢) وهم طائفة من طوائف المجسمة، سموا بالحشوية لقولهم: لتجوزيهم حدوث بعض الصفات المعاني، ولقولهم أن اليد والوجه والأصابع أعضاء لله- تعالى الله عن قولهم.

تحصيل لهم، وكيف يظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر، وأنهم رضوا بالتقليد، حاش لله أن يكون ذلك وصفهم، ولقد كان السلف من الصحابة رضي اللهَّ عنهم مستقلين بما عرفوا من الحق، وسمعوا من الرسول ﷺ من أوصاف المعبود، وتأملوه من الأدلة المنصوبة فِي القرآن، وإخبار الرسول ﷺ فِي مسائل التوحيد، وكذلك التابعون وأتباع التابعين؛ لقرب عهدهم من الرسول ﷺ، فلما ظهر أهل الأهواء، وكثر أهل البدع من الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، وأوردوا الشبه انتدب أئمة السنة لمخالفتهم والانتصار للمسلمين، بما ينير طريقهم، فلما أشفقوا على القلوب أن تخامرها شبههم شرعوا فِي الرد عليهم، وكشف فسقهم، وأجابوهم عن أسئلتهم، وتحاموا عن دين اللهَّ، بإيضاح الحجج، ولما قَالَ اللهَّ تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[سورة النحل آية: ١٢٥]، تأدبوا بآدابه سبحانه، ولم يقولوا فِي مسائل التوحيد إلا بما نبههم اللهَّ سبحانه عليه فِي محكم التنزيل.

والعجب مِمَّنْ يقول: [**ليس فِي القرآن علم الكلام**]، والآيات التي فِي الأحكام الشرعية، والآيات التي فيها (**علم الأصول**) يجدها، توفى على ذلك وتربى بكثير.

وفي الجملة لا يجحد (**علم الكلام**) إلا أحد رجلين:

- جاهل، ركن إلى التقليد، وشق عليه سلوك أهل التحصيل، وخلا عن طريق أهل النظر، والناس أعداء ما جهلوا، فلما انتهى عن التحقق بهذا العلم نهى الناس ليضل غيره كما ضل.

- أو رجل يعتقد مذاهب فاسدة، فينطوي على بدع خفية، يلبس على الناس عوار مذهبه، ويُعمي عليهم فضائح طويته وعقيدته، ويعلم أنَّ أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر عن بدعهم، ويظهرون للناس قبح مقالتهم، والقلاب لا يحب من يميز النقود، والخلل فيما في يده من النقود الفاسدة، لا في الصراف ذي التمييز والبصيرة، وقد قَالَ اللهُ تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سورة الزمر آية ٩].

خاتمة الشكاية

ولما ظهر ابتداء هذه الفتنة بنيسابور، وانتشر فِي الآفاق خبره، وعظم على قلوب كافة المسلمين من أهل السنة والجماعة أثره، ولم يبعد أن يخامر قلوب بعض أهل السلامة والوداعة، توهم فِي بعض هذه المسائل، أن لعل **أَبَا الْحُسَن علي بْن إسماعيل الأشعري**، رحمه اللهَّ، قَالَ ببعض المقالات، فِي بعض كتبه، ولقد قيل: من يسمع يخل، أثبتنا هذه الفصول فِي شرح هذه الحالة، وأوضحنا صورة الأمر بذكر هذه الجملة؛ ليضرب كل من أهل السنة، إذا وقف عليها بسهمه فِي الانتصار لدين اللهَّ عز وجل، من دعاء يخلصه، واهتمام يصدقه، وكل عن قلوبنا بالاستماع إلى شرح هذه القصة يحلمه، بل ثواب من اللهَّ سبحانه على التوجع بذلك يستوجبه، والله غالب على أمره، وله الحمد على ما يمضيه من أحكامه ويبرمه، ويقضيه فِي أفعاله، فيما يؤخره ويقدمه، وصلواته على سيدنا مُحَمَّد المصطفى، وعلى آله وسلم تسليما.

تمت الشكاية

الفهرس



عمّان، الأردن، تلفاكس: 0096264615859

Email: darannor@gmail.com

www.darannor.com